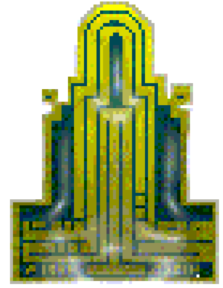
بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

# العدول في شعر سعاد الصباح

# The Alteration in Su'ad alsubah's Poetry

إعداد

**شافي محمد سيف العازمي**

(1470301002 )

إشراف

الدكتور محمود محمد رمضان الديكي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت
الفصل الصيفي 2016/ 2017

**إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظرمتها وتعليماتها**

أنا الطالب: **شافي محمد سيف العازمي**

التخصص: اللغة العربية وآدابها الكلية: معهد الآداب والعلوم الإنسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

**العدول في شعر سعاد الصباح**

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: ......................

التاريخ 13/ 8/ 2017

**التفويض**

**أنا الطالب" شافي محمد سيف العازمي"** أفوض جامعة ال البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

توقيع:..................

التاريخ: 13/ 8 / 2017



عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

# قرار لجنة المناقشة

## العدول في شعر سعاد الصباح

**إعـداد الطالب:شافي محمد سيف العازمي**

**الرقم الجامعي** :1470301002

## إشراف :الدكتور محمود محمد الديكي

| أعضاء لجنة المناقشة | | التوقيع |
|---|---|---|
| 1 .الدكتور محمود محمد الديكي | مشرفاً ورئيساً | |
| 2 .أ.الدكتور سعيد جبر أبو خضر | عضواً | |
| 3. الدكتور حسين ارشيد العظامات | عضوا | |
| 4.الدكتور علاء الدين أحمد غرايبة | عضواً/ مناقشاً خارجياً | |

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ:13 / 8 /2017م .

## الإهداء

إلى وطني العزيز الكويت

إلى وطني الثاني الأردن

تحية اعتزاز وعرفان وامتنان

الباحث

شافي محمد سيف العازمي

# الشكر والتقدير

ورد فى الأثر عن الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، ولا يسعنى، وقد أنعم الله على بإتمام هذه الرسالة المتواضعة، إلا أن أشكر من ساندنى، ومد يد العون مخلصة حتى اكتمل هذا العمل، واستوى على سوقه بحمد الله ، وفى مقدمة من يستحقون الشكر أستاذى الأستاذ محمود محمد رمضان الديكى لعلمه الغزير، وأخلاقه العالية، إذ لم يبخل على الطالب بعلم أو نصح أو مشورة، والشكر موصول للسادة أعضاء لجنة مناقشة الدراسة الذين سيستنير الباحث بوجهات نظرهم، وملاحظاتهم القيمة بدون شك، كما أتوجه بشكرى إلى السادة أعضاء الهيئة الإدارية في كلية الآداب بجامعة آل البيت الغراء لما أسدوه من خدمات مشكورة لمساندة الباحث وتذليل الصعوبات الإدارية وفى الختام يسرنى توجيه الشكر لأسرتى الكريمة التى وقفت بجانبى بكل إخلاص حتى أتم الله هذا العمل على خير، وأسال الله العلى القدير أن يجزل عطاء الجميع، وأن يبارك فى أعمارهم وأعمالهم، والله ولى التوفيق

**الباحث**

# فهرس المحتويات

**العدول في شعر سعاد الصباح**

**إعداد**

**شافي محمد سيف العازمي**

**إشراف**

**الدكتور محمود محمد رمضان الديكي**

**الملخص**

موضوع هذه الدراسة هو دراسة ظاهرة العدول وتطبيقاتها فى شعر سعاد الصباح، فهو يهدف تحديدا إلى التعرف على مدى وجود هذه الظاهرة فى شعر الشاعرة ومدى دورانها فيه بما يوضح مدى امتلاك الشاعرة لأدواتها الفنية، ومنها اتقانها وأساليب هذه التقنية البلاغية الأسلوبية وأساليبها .

وقد انتظمت الرسالة فى فصل تمهيدى من مبحثين، عرّفنا في الأول بالشاعرة إنجازاتها الثقافية ومكانتها الأدبية ، كما عرفّنا فى الثانى بظاهرة العدول وفق ما وردت فى تراثنا العربى، وفى الفصول الثلاثة التالية خصصنا كل فصل بصورة من صور العدول، فالفصل الأول اختص بالعدول التركيبى، والفصل الثانى بالعدول الصرفى، والفصل الثالث بالعدول الدلالى، وقد واستخلص تعريف لكل نوع ، والتعريف بالصور والأشكال، وطبق المفهوم على شعر سعاد الصباح مستقصيا مدى وجود تلك الصور وشيوعها، وقد انتهت الدراسة إلى تأكيد وعى الشاعرة بأهمية استخدام العدول بأنواعه ، وإلى التعرف على أكثر الأشكال شيوعا لديها وهو العدول الدلالى فالتركيبى، أما العدول الصرفى فكما هو قليل فى الشعر العربى بوجه عام فهو قليل فى إطار تجربة الشاعرة سعاد الصباح.

# The Alteration in *Suεad alsubah's* Poetry

**Prepared by**

**Shafi Mohammad Saif Al-Azmi**

**Supervisor**

**Dr. Mahmoud Mohammad Al-Deki**

## Abstract

The objective of this research is to study the phenomenon ofAlteration (Al-Udul) and its applications in Suad Al-Sabah's poetry. It aims specifically at identifying the extent of this phenomenon in her poetry and the extent of its role in it to explore the extent of the poet's possession of its technical tools, including mastering the basics and methods of this stylistic technique.

The resrearch was organized in a preliminary chapter formed of two subjects; the first is introduction to the poet and her cultural achievements and the second is definition and discription of the phenomenon of Alteration in our Arab heritage. In the following three chapters we devoted each chapter for a form of Alteration; the first was focused in structural Alteration, the second was dealimg with morphologicalalterationand the third chapter was about semantic alteration. There is definition of each type with explanation of its types and then each type was applied on Suad Al-Sabah's poetry to check the extent of these types and their prevalence. The research ended with identification of the most commonly type used wgich is Al-Udul by inspiration then the stuctural while the morphological type is little in the context of the experience of Souad Al-Sabah, same as it is little in Arabic poetry in general.

## مقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، إلى يوم الدين، أما بعد:

فالشاعرة سعاد الصباح صوت شعري عربي أصيل، تعد من الجيل الثالث من شعراء الحداثة في الكويت، عبرت عن هموم المرأة العربية عامة والكويتية خاصة. وقد استطاعت أن تخط لها على خريطة الشعر العربى الحديث معالم واضحة ، حتى غدت صوتا شعريا مميزا فى إطار الحركة الشعرية العربية بوجه عام ، ويمثل عطاؤها الثر مجالا خصبا للباحثين فى المجالات الأدبية، واللغوية، والأسلوبية.

وقد حظيت الشاعرة بعناية النقاد والدارسين الذين سلكوها في أطر شعرية وفنية مختلفة، فسلكت ضمن أطر الإبداع المنتمي إلى الرومانسية حيناً، أو إلى إطار مدرسة (أبولو) أحياناً. وقد تناول دارسوها محاور كثيرة في شعرها كالمحور الوطني والاجتماعي والوجداني، ومحور الحب والمرأة.

أما هذه الدراسة فتنحو منحى آخر، إذ يتناول الباحث شعرها من زاوية نقدية لسانية أسلوبية حيث يدرس ظاهرة العدول في شعرها، منزوايا متنوعة بغية الكشف عن مدى ما تتمتع به تجربتها الفنية الشعرية وقاموسها اللغوى من ثراء ، وما عسي أن تكون قد أضافت فى مضمار الشعر فى هذا الصدد.

يمتلك مصطلح العدول، بوصفه تقنية أسلوبية فذةً، حضوراً بارزاً في الدرس اللغوي العربي القديم والحديث ، فقد تنبه الدارسون العرب القدماء إلى سمة بارزة من سمات الأسلوب العربي وهي سمة المراوحة بين الأساليب والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر ومن صيغة إلى أخرى ، وقد أطلقوا على هذه الظاهرة مصطلحات عدة منها : المجاز، والنقل، والانتقال، والتحريف، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، وغير ذلك1. " وهذه المصطلحات المترادفة تحيل – في محصلتها النهائية – إلى معنى

[1]– الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت 2002م، ص121.

الخروج عن الأصل وتركه إلى ما ليس بأصل . وفي هذا الصدد يقول تمام حسان: " الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة. [1]"

والعدول سمة عامة تتصل باللغة الإنسانية بصفة عامة، غير أنها بالنص المكتوب أظهر، أي أنها دائما حاضرة في لغة الإنسان شفوية أو كتابية . وبذلك يغطي منها مساحة واسعة، حيث هو يشمل اللفظ الواحد حتى لو كان أداة عطف، أو(ال) التعريف، أو حروف الجر، أو الأسماء، أو الأفعال، أو الجمل, فهو موجود في كل مظاهر اللغة الإنسانية، وينتشر في كل مستوياتها، الصوتي، والصرفي، والنحوي، والبلاغي، والدلالي.

وسأحاول أن أعطي الموضوع حقه من البحث فى محتلف جوانبه ، وأن أساهم فى رفد الأدب العربى بدراسة تثرى مجال الدراسات الأسلوبية بوجه خاص بما يثري الدراسات الادبية بوجه عام فى حين تبرز بعضا من أو جه العطاء الحضارى لبلدى الكويت وتسهم فى إبرارز وجه من أو جهه الحضارية الفذة وهى الدكتورة الشاعرة سعاد الصباح .

وقد جاءت هذه الدراسة بعد المقدمة والفصل المتعلق بمنهجية البحث فىفصل تمهيدى ومبحثين، وثلاثة فصول وخاتمة، تناول الباحث فى التمهيد التعريف بالشاعرة ومكانتها الفكرية وعطائها الثقافى المميز وتجربتها فى مضمار الشعر العربي الحديث ، وما قدمته من إضافة بارزة، ثم عرج على تتبع ظاهرة العدول فى التراث العربى القديم ومن ثم تناول فى كل فصل من فصول الدراسة شكلا من أشكال العدول وتتبع تطبيقاته فى شعر الشاعرة سعاد الصباح ، وفى الختام كانت الخاتمة والنتائج والتوصيات وذيلت البحث من ثم بقائمة المصادر والمراجع التى استندت إليها .

وختاما، لا يسعنى إلا أن أرجع الفضل لأهله وأثنى بالشكر الجزيل لكل من أسهم فى أن يستوى هذا البحث على سوقه ليكون إضافة متواضعة فى مجال البحث الأدبى والأسلوبى فضلا عن إبرازه وجها حضاريا مشرقا لبلدى الكويت، والله من وراء القصد، وهو يهدى السبيل

---

1– المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، حسان تمام، مجلة فصول، القاهرة، عدد3-4، 1987م ص28.

## مشكلة الدراسة وأهميتها وفرضياتها ومنهجها

### مشكلة الدراسة

تناول الباحثون والنقاد شعر سعاد الصباح من زوايا متعددة فمنهم من درس مضامينه وما تحمله من توجهات وطنية، أو اهتمامات اجتماعية، أو تحيزات شخصية فى محاولة للبحث عن موقعها أو موقع إضافتها الفنية على خريطة تطور الشعر العربى الحديث ، والحركة الثقافية العربية بوجه عام ، وتقدير مدى الإضافة التى أضافتها من خلال نتاجها الشعرى على مختلف الصعد ، ومنهم من ركز على الأبعاد الفنية فى عطائها الشعرى من ناحية التوجه الفنى الغالب وجذوره فى الاتجاهات الفنية السائدة فى الشعر العربى ، و تناول بعضهم فى إطار الدراسة الفنية تطور شعرها من العمود الشعرى إلى شعر التفعيلة والتغيرات التى صاحبت ذلك ودلالاته ، بيد أن هذه الدراسة التى بين أيديكم تنحو منحى آخر إذ ترتكز على منهجية الدراسة الأسلوبية التى تسعى لكشف أسرار لغة الشاعرة ، ومميزاتها البارزة، وقد اتخذت ظاهرة العدول مسبارا تجول به خلال العطاء الشعرى الثر للشاعرة لإلقاء المزيد من الضوء على هذه الظاهرة بالغة الأهمية التى شغلت النقاد من قديم و تحظى اليوم باهتمام كبير لدى المهتمين بالدراسات الأسلوبية فى الوقت الذى تسعى فيه لتجلية جوانب تتعلق بخصائص شعر الكاتبة ومميزاته .

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تندرج ضمن مجموع الدراسات الأسلوبية التي تستفيد من معطيات البحث اللساني ومخرجاته المتحصلة من تطبيق بعض النظريات اللسانية وعلى رأسها المنحى التحويلي والنظرية التخاطبية على النص الشعري ، ثم إنها تدرس شاعرة لها حضورها في المشهد الشعري العربي بشكل عام والشعر الكويتي بشكل خاص . وهى تستهدف الوقوف على نماذج من هذه الظاهرة الأسلوبية لدى الشاعرة تتجلى بها معالمها، فتضيف جهدا متواضعا إلى الجهود السابقة التي تناولت هذا الشعر، وتقفنا على جوانب من التجربة الإبداعية للشاعرة نفسها.

### فرضيات الدراسة

ينطلق الباحث في دراسته لشعر سعاد الصباح من عدد من الفرضيات يحاول إثباتها أو نفيها وهي ما يلى :

1- يشكل العدول ظاهرة بارزة في شعر سعاد الصباح .

2- طال العدول جميع المستويات اللسانية في شعر سعاد الصباح.

3- كانت الشاعرة مدركة لدور العدول في شعرية النص .

4- ثمة فرق في استعمال تقنية العدول في دواوينها المتأخرة عما كان في بواكير شعرها .

**منهج الدراسة:**

يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الأسلوبي ، لاستجلاء ظاهرة العدول عند سعاد الصباح، وذلك بدراسة الألفاظ في سياقها، متناولا الانزياح الدلالي والصرفي من خلال حقول دلالية ، والنظر في ما جرى على التراكيب المستعملة من عوارض تركيبية.

ويستفيد الباحث فى بعض مباحث الدراسة من معطيات المنهجين الوصفى والتاريخى وبخاصة فيما يتعلق بدراسة حياة الشاعرة، وتتبع ظاهرة العدول فى التراث النقدى العربي قديمه وحديثه .

**خطة الدراسة**

تنتظم هذه الدراسة بعد الفصل المتعلق بمشكلة البحث وفرضياته ومنهجيته أربعة فصول أولها فصل تمهيدى من بحثين ، ثم ثلاثة فصول وخاتمة . يتناول الباحث فى الفصل التمهيدى التعريف بالشاعرة ، وبمكانتها الفكرية وعطائها الثقافى المميز وتجربتها فى مضمار الشعر العربي الحديث ، ثم يعرج على تتبع ظاهرة العدول فى التراث العربى القديم ، وينتقل من بعد إلى تناول موضوع من موضوعات العدول فى الفصول الثلاثة الباقية مع تطبيقات ذلك النوع أو الموضوع فى شعر سعاد الصباح، فيتناول فى الفصل الأول العدول التركيبى وفى الفصل الثانى العدول الصرفى، وفى الفصل الثالث العدول الدلالى، أى فى كل فصل من فصول الدراسة تناولت شكلا من أشكال العدول وتتبعت تطبيقاته فى شعر الشاعرة سعاد الصباح ، وفى الختام كانت الخاتمة والتوصيات، وذيلت البحث من ثم بقائمة المصادر والمراجع التى استندت إليها .

**الدراسات السابقة:**

استفاد الباحث فى جمع أطراف رؤيته وبنيان دراسته من ثلاثة أطياف من الدراسات المتعلقة ببحثه ، وهى :

أولا . الدراسات التى تناولت الظاهرة الأسلوبية بوجه عام والمتعلقة بالشعر العربى بوجه خاص وقد أفادت هذه الدراسات فى تكوين رؤية عامة حول الأسلوبية ومنهجيتها وآلياتها باعتبارها المضمار العام الذى تنداح فيه هذه الدراسة ، ومن أمثلة ما أفاد فى هذا الباب ما يلى :

- سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، القاهرة ، دار البحوث العلمية، 1980م.

-عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، بغداد ، دار الشؤون الثقافية، 1982م.

- شكري عياد محمد،اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، القاهرة انترناشونال 1988.

-شكري عياد محمد، مدخل إلى علم الأسلوب ، الرياض دار العلوم نشر الرياض 1988.

- صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته القاهرة دار الشروق 1998م.

- عدنان حسين قاسم ، الاتجاه الأسلوبي في نقد الشعر العربي، ، مصر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ،٢٠٠١م.

-كرهام هاف، الأسلوبية والأسلوب، ت كاظم سعد الدين،بغداد، دار آفاق 1985.

تناولت الدراسات السابقة موضوعات عدة، وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بأنها الأولى التي تناولت العدول في شعر سعاد الصباح وهو ما لم تبحثه دراسة سابقة مما يعد إضافة جديدة للمكتبة العربية.

ثانيا : الدراسات التى تناولت شعر الشاعرة سعاد الصباح موضوع هذه الدراسة ومحورها وأيا كان المنحى الذى تناول به الباحث شعر الشاعرة فإنه لن يخلو من فائدة فى استيعاب الرؤية الشعرية للشاعرة بوجه عام والوقوف على المواضع التى لم يعن بها الباحثون الآخرون لاضاءتها ما أمكن ومن أمثلة الدراسات فى هذا القسم :

- نبيل راغب ، دراسة فى شعر سعاد الصباح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993

- خلف فاضل ، سعاد الصباح الشعر والشاعرة ، شركة النور، الكويت 1992

- رابحة محمود البحر ، شعر سعاد الصباح : دراسة فى المضامين الشعرية ، رسالة ماجيستير بكلية الاداب جامعة الملك سعود، 1428 ه

- سعيد ظافر الفارسي ، سعاد الصباح بين الاستلاب والاغتراب ، كتب عربية ، 2005

- معراج أحمد معراج الندوى ، النزعة الوطنية فى شعر سعاد الصباح ، دراسة بمجلة اللغة عدد ابريل 2017

ثالثا : الدراسات الموازية التى تناولت ظاهرة العدول فى شعر أحد الاعلام القدامى أو المعاصرين مما ينعكس على التناول المنهجى للباحث لما بين يديه، ومن أمثلة هذا القسم من الدراسات :

1-الانزياح في الثراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002م

2-الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للنشر بيروت ط1 ، 2005.

ومنها ما كان تحت مسمى العدول مثل :

- ظاهرة العدول في البلاغة العربية، مقاربة أسلوبية، الجزائر 2005، عبد الحفيظ مراح.
- صور العدول في شعر أبي تمام دراسة بلاغية، جامعة المنيا رسالة ماجستير2012، دار العلوم.
- ظاهرة العدول في شعر المتنبي، مصطفى عبد الهادي عبدالله، جامعة7 اكتوبر
- ظاهرة العدول في شعر عنترة، دراسة أسلوبية، عمار جابر جرادات، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2015م.

## الفصل التمهيدى

## المبحث الاول

### سعاد الصباح : حياتها ومشروعها الثقافى وإضافتها الأدبية

سعاد الصباح علم من أعلام الكويت الثقافية المعاصرة، استطاعت أن تخط لإسمها مكانا مميزا فى سماء الثقافة العربية بحسها الأدبى المرهف ، وتجربتها الشعرية الثرية ، وجهادها الثقافى المميز، ومشاركتها الفاعلة فى صناعة الأحداث فى بلادها والعالم العربى فى فترة من أصعب اللحظات وأخصبها ، وتعددت مآثرها وإنجازاتها لا على الصعيد الثقافى والأدبى بل فى مضمار النضال السياسي إذ كرست حياتها لمناصرة حقوق المرأة العربية والإنسان العربى بوجه عام ، وكان لها حضورها فى تلك الفترة العصيبة إبان الغزو العراقى للكويت ، الأمر الذى يجعلها – بحق- ظاهرة ثقافية واجتماعية جديرة بالتقدير والدراسة الكاشفة معا .

ولدت سعاد الصباح عام 1942 [1]وهي تنتمي للعائلة الحاكمة الكويتية، ومن هنا حملت لقب الشيخة الذى تحمله قريناتها من نساء العائلة ، غير أنها آثرت ألا تبقى ككثيرات من بنات الأسر الحاكمة ممن يولدن ، وملاعق ذهبية بأفواههن – كما يقال - أسيرة لانتمائها الرفيع بما يعنى من حياة مرفهة وشهرة وعيش رغيد ، واستفادت من توجيه والدها وحسن تربيته، كما أشارت فى أكثر من مصدر فتوجهت بنفس متطلعة للثقافة والمعرفة، وتعودت القراءة والاطلاع فى سن مبكرة ، وكان لذلك أثر كبير فى مسيرتها وعطائها اللاحق [2].

تلقت تعليمها فى مراحل الطلب الأولى فى البصرة بالعراق – وتحديدا فى بلدة الجبير - حين اضطرت الأسرة للهجرة إليها بعد مقتل حاكم الكويت[3]، وهنالك تفتح وعيها الثقافى مبكرا مستفيدة من بيئة ثقافية مساعدة، ثم عادت للكويت فأتمت دراستها الثانوية في ثانوية الخنساء في الكويت .

تزوجت مبكرا من الشيخ عبد الله مبارك الصباح الذى عمل نائبا لحاكم الكويت وقائدا للجيش فى فترة من أعقد فترات التاريخ الكويتى، وهى الفترة التى سبقت حصول الكويت على استقلالها من بريطانيا ، وكان للرجل توجه قومى واضح ونزعة استقلالية واعتزاز بعروبته

---

[1] تحديدا فى 22 مايو 1942وكبيديا الموسوعة العالمية الحرة ، آخر تحديث 11 يوليو 2017 . تاريخ الزيارة 13 يوليو 2017

[2] من حوار مع الكاتبة أجرته روان الضامن ونشر فى موقع الجزيرة نت www.jazera.net

[3]المرجع السابق

جعل المستعمر البريطانى غير مستريح إليه كما يظهر من الوثائق التى نشرتها الشاعرة فى كتاب عن زوجها [1]مما اضطره للاستقالة حرصا على وحدة قبيلته واستقرارها كما أفادت دون توضيح لظروف ذلك وملابساته ، وانتقل للاقامة فترة في لبنان ثم فى القاهرة.

ويبدو أن الشيخ عبد الله المبارك كان ذا شخصية متفتحة لم يبخل على زوجته بالدعم والمساندة لرى ظمئها المعرفى واستكمال مشوارها الثقافى، فهو الذى شجعها لإصدار ديوانها الأول وهى لم تزل فى ريعان الشباب إذ لم تتجاوز عامها العشرين [2]برغم أن الديوان لم يكن باعترافها عملا ناضجا نظرا لسنها المبكر وقلة خبرتها وتمرسها بالفن ، ولكنها خطوة مهمة للغاية لانضاج تجربة ثقافية ناشئة بما تشعشع فى نفس الكاتبة من مشاعر الاعتزاز بانتاجه والثقة بالنفس والحافزية نحو المزيد من العطاء والانتاج . وقد خلدت الشاعرة بوفاء جميل تلك اليد البيضاء التى أسداها لها زوجها بتفهمه ودعمه ومساندته بهذه الكلمات اللطيفة من أحد دواوينها الذى خصته به [3]:

وحميت أحلامي بنخوة فارس

لم تلغ رأيا أو قمعت شعورا

قدر الكبير بأن يظل كبيرا

خطت الشيخة سعاد خطوات أخرى لاستكمال مشروعها الثقافى حين التحقت بجامعة القاهرة لتحصل على بكالوريوس فى الاقتصاد ثم واصلت مشوارها العلمى لتحصل على الماجستير والدكتوراه فى الاقتصاد والتنمية كذلك من جامعة بريطانية [4].

بعد أصداراتها المبكرة الثلاثة فى عامى 1961 و1964 وهى " ومضات باكرة "و " لحظات من عمرى " و " من عمرى " بدا وكأنها دخلت مرحلة ابتعاد طويلة نوعا ما ولعلها انشغلت بالأحداث الجسام التى عايشها زوجها وأمّا وقد أصدرت بعده ديوانها التالى وهو ديوان " أمنية " عام 1971 الذي جمعت فيه قصائد تنبىء عن مولد عبقرية شعرية فريدة ، وتفصح عن صوت أصيل متميز ، وهى تراه أقرب دواوينها إلى نفسها إذ برزت فيها صوتها رومانسيا حالما، وعلى صعيد التقنيات الفنية كان شعرها فى هذا الديوان نقلة واعدة

---

[1] المرجع السابق ، الصفحة نفسها

[2] لمرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[3] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4] ويكى بيديا الموسوعة العالمية الحرة مرجع سابق

فلقد كان الشعر الجديد – كما لاحظ الناقد محمد عنانى - في الوطن العربي يمر بمرحلة حاسمة، إذ كانت حركة هذا الشعر قد اقتصرت عند البحور الصافية أي التي تعتمد على تفعيلة واحدة متكررة وشاع الرجز وهو البحر الذي يقترب كثيرا من النثر لكثرة زحافاته وعلله, وازدهر الخبب الذي يعدُّ الصورة الحديثة للمتدارك[1]

توالت بعد ذلك دواوين الشاعرة التي أثبتت قدرتها في التعبير وفي البناء المحكم، ففي غمرة حزنها على فقدان ابنها البكر مبارك أصدرت ديوان (إليك يا ولدي 1982) تتغنى فيه بمشاعر أمومة نبيلة، وتنشد المثل الأعلى ثم كان ديوانها الفذ الذى يمثل نقلة كبيرة فى مسيرتها الشعرية، بل ثورة حقيقية فى ميدان الإبداع الشعرى بمقياس ذلك الوقت كما يرى الناقد محمد عنانى فصدر ديوان (فتافيت امرأة) عام 1986م وهو يضم قصائد منثورة إلى جانب القصائد المنظومة، فكأنها تعلن التمرد على قوانين النظم التي وضعها الرجل, وهو التمرد الذي بلغ أوجه في ديوانها (القصيدة أنثى والأنثى قصيدة) عام 1999[2]

انتظم العطاء الشعرى للشاعرة سعاد الصباح فى ثماني عشرة مجموعة شعرية استهلتها كما أشرنا بومضات باكرة وكان آخر انتاجها الشعرى ( الشعر والنثر لك وحدك) فى (2016) وهذه الإبداعات الأدبية تمثل أهم الثمرات وأبرزها فى مشروعها الفكرى حيث تتجاور مع إنتاج علمى أو فكرى يتمثل فى حوالى عشرة كتب أخرى توزعت ما بين الدراسات الاقتصادية والتنموية وهو مجال تخصصها اوما بين الدراسات الأدبية والتاريخية [3].

وكمناضلة تحمل الهم القومى بين جنباتها لم تقتصر إسهاماتها لاثراء الساحة الثقافية على ما أصدرت من مجموعات شعرية ودراسات فكرية ولكنها أسست دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع عام 1984 لتسهم فى إثراء الحركة الثقافية فى العالم العربى ومدها بكل جديد من ثمرات الفكر والادب، وقد أصدرت الدار مئات الدراسات والأعمال الأدبية لمفكرين ومبدعين من مختلف المشارب والأعمار ولم تقتصر على المشاهير الكبار، بل كان من بين من نشرت

---

[1]عبد الله النديم ، مقال بعنوان سعاد الصباح رحلة بحث دائب عن المعنى بجريدة اليوم ، العدد 11176 بتاريخ 2004/1/20

[2] المرجع السابق، صفحة 16.

[3] وكى بيديا فى موضوع سعاد الصباح

أعمالهم شباب مبدع واعد كان لها فضل الكشف عن مواهبهم وإبرازها ، فلقد أنشات باسمها جائزة سعاد الصباح لدعم المبدعين الشبان فى مجالات الشعر والكتابة المسرحية والرواية وجائزة أخرى باسم زوجها الراحل عبد الله مبارك الصباح لدعم ذوى الكفاءات والمبادرات والقدرات العلمية المتميزة من العلماء العرب الشبان بل خصت فلسطين قضية الأمة المركزية بجائزة استهدفت بها دعم الحركة الفكرية والثقافية بين الشباب الفلسطينى الحر .

وفضلا عما سبق فقد شاركت بفعالية فى العديد من الروابط الفكرية والأندية الثقافية والمؤسسات المتعلقة بمجالات اهتمامها على امتداد الوطن العربى كما أسهمت فى إنشاء بعض أهم تلك المنتديات كالجمعية الوطنية لحقوق الانسان العربى وهو من أهم وأكبر مآثرها التى لا تخلو من دلالة . وقد كانت – بالإضافة إلى ذلك – ذات حضور بارز فى منتديات دولية تعنى بالواقع العربى ومتغيراته فكانت عضوا فى أكثر من عشرين رابطة وناديا وجمعية ومؤسسة فكرية داخل العالم العربى وحول العالم [1].

وقد حظى جهادها الثقافى الكبير بالكثير من التقدير فى داخل بلدها وخارجها فحصلت على جوائز التكريم السنية كجائزة الدولة التقديرية بالكويت ووسام الثقافة التونسية ووسام الاستحقاق اللبنانى وغير ذلك2 . كتب عن العطاء الادبى للشاعرة سعاد الصباح الكثير من الدراسات والأبحاث سواء فى أروقة الجامعات أو من قبل النقاد المرموقين فى العالم العربى فضلا عن عشرات المقالات والمقابلات فى المجلات والدوريات الثقافية المعروفة ، كما ترجم من أعمالها الكثير لعشر لغات حية من لغات العالم 3.

## المبحث الثانى

## العدول وعلاقته بالموروث العربي

1. **العدول لغة واصطلاحا:**

---

[1] المرجع السابق، ص4 .

[2] المرجع السابق ، ص5.

[3] المرجع السابق ، ص6.

جـــاء فـــي كتـــاب العـــين:(( عِـــدْل الشـــيء: نظيـــره ... والعَـــدْل أن تَعْـــدِل الشـــيء عـــن وجهـــه فتميلـــه ... وعَـــدَلْتُ الشـــيء أقمتـــه حتـــى اعتـــدل ... وعـــدلت الدابة إلى كذا: أي: عطفتها فانعدلت.

والعَدْل: الطريق ... والانعدال: الانعراج ))[1].

وفـــي المحكـــم:(( عَـــدَلَ عـــن الشـــيء يَعْـــدِل عَـــدْلاً وعُـــدولاً: حـــادَ ... وعَـــدَلَ إليه عدولاً: رجع ... وعَدَلَ الطريقُ: مال ... وانعدل وعادل: اعوج))[2].

وفـــي معجـــم مقـــاييس اللغـــة:(( عـــدل: العـــين والـــدال والـــلام أصـــلان صـــحيحان، لكنهمـــا متقـــابلان كالمتضـــادين: أحـــدهما يـــدل علـــى اســـتواء، والآخـــر يدل على اعوجاج))[3].

وذكـــر فـــي اللســـان:(( عَـــدَل الطريـــق: مـــال ... وفـــي الحـــديث: لا تُعْـــدَل سارحتكم أي لا تصرف ماشيتكم وتُمال عن المرعى))[4].

وذكـــر الفيروزآبـــادي أن مـــادة ((ع،د،ل))ومـــا يمكـــن أن يشـــتق منهـــا محصـــورة بـــين الدلالـــة الأولـــى المتمثلـــة فـــي الإنصـــاف ، وإحقـــاق الحقـــوق حيـــث إن ((العـــدل : كالعادلـــة والمعدلةِوالمعدَلـــة . عـــدل فهـــو عـــادل مـــن عـــدول وعـــدل بلفظ واحد ...))[5].

والدلالـــة الثانيـــة المتمثلـــة فـــي ((عـــدل عـــن الشـــيء يعـــدل عـــدلا وعـــدولا حـــاد عـــن الطريـــق جـــارو عـــدل إليـــه عـــدولا رجـــع ، ومالـــه معـــدل ولا معـــدول أي مصرف ، وعدل الطريق مال ))[6]

---

1–الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين: تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وآخر، مطابع كويتا تايمز، دار الرشيد للنشر، بغداد 1982م.مادة (عدل).

2– ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم:ابن سيدة ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، القاهرة ، 1958م. مادة (عدل).

3– ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة،اعتنى به محمد عوض مرعب وأخرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001م.ص 817.

4– ابن منظور: لسان العرب:دار إحياء التراث العربي، بيروت ،1985هـ مادة (عدل).

5– مجد الدين الفيروز آبادي : القاموس المحيط ،مكتبة النوري ، دمشق ، مادة (عدل ) ، ص13.

6– لسان العرب ، ج 2،ص706.

ومما تقدم يظهر أن العدول في اللغة يدل – فيما يدل عليه – على حياد الشيء عن وجهته وإمالته عنها.

وإذا نظرنا إلى التعريف اللغوي نلحظ اللحمة الوثيقة بين المصطلح وبين الدلالة الفنية انطلاقًا من مفهوم ـــ عدل عن الطريق ـــ أى مال عنه ـــ، ومنه يفهم العدول في اللغة بأنه إجراء يلحق الصياغة لأغراض فنية عامة لم ترتبط بداية بتحسس عناصر الجمال ، وفي ملاحظة طبيعة الصياغة الواردة في بعض الآيات الكريمة مايؤيد ذلك كقوله تعالى : ((أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ))[1]. كأنك تقول أولى أجنحة اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وهو ضرب من ضروب العدول أو الانزياح لاحظه القدماء وأشاروا إليه.

ويزخر التراث البلاغيّ بإشارات إلى ظاهرة الانزياح وأهميتها في عملية الإبداع الفنّي، فهذا الانزياح يتبدى عندهم في مظاهر شتى، تبدأ من أدنى تغيّر صوتي وتنتهي بتغيّر النَّوع الأدبيّ للخطاب برمته.

و هذا دليل على أن البلاغيّين عرفوا ظاهرة الانزياح، وتناولوها من خلال مباحث كثيرة، ومصطلحات متعددة، وكانت لهم إشارات واضحة تدل على وعيهم بالانزياح بوصفه ظاهرة فنية، وضرورة أدبية، ويعد الحذف والزيادة نوعين هامين من أنواع الانزياح التَّركيبي، وهما ذوا صلة وثيقة بظاهرتي الإيجاز والإطناب اللتين تمثلان نوعا من العدول عن أصل مثالي مفترض تمثله المساواة.

أما الانزياح الدَّلالي فتمثله صور البيان عامَّة؛ فالتَّشبيه يتأكد بعده الفنّي من خلال أنواع العدول والانزياحات التي تعتريه، سواء كان ذلك بحذف بعض عناصره، أم بالإغراب في تشبيه المتباعدات، أم في قلب طرفي الصّورة التَّشبيهية، كما تعد الاستعارة أهم أنواع الانزياح الدَّلالي، من حيث هي نقل للفظ عن مسمَّاه الأصلي إلى اسم آخر، وتشبيهٌ حذف أحد طرفيه، وخرج بذلك عن التقرير والمباشرة، فكانت أعلى مراتب التَّشبيه هي أولى مراتب الاستعارة، ولذلك فضلت الاستعارة قديما وحديثا على التَّشبيه، من حيث قيمتها الفنِّية التي تحققها بذلك التفاعل الحي في الدَّلالة، وذلك الثراء الذي تتميز به، ويعزى إلى أنَّها تمثل أقصى درجات الانزياح الدَّلالي، أما الكناية فهي

---

1–سورة فاطر ، آيه 1.

أحد أشكال الانزياح الدَّلالي وتتلخص في أنَّها عدول عن إفادة المعنى مباشرة إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه.

وقد عرف العدول في اللغة العربية منذ عصر الاحتجاج اللغوي ، فقد تطرق إليه العلماء في العصر الجاهلي لفهم المقاصد الشعرية خاصة ؛إذ يصح للشاعر ما لا يصح للناشر ، وعرف في العصر الإسلامي لوقوعه في لغة القرآن الكريم ، والملاحظ لاستخدام القدماء هذا المصطلح أنه موجود في معظم الكتب ، النحوية ،أو الفقهية أو كتب الأصول بتسميات مختلفة منها : العدول والانزياح والانحراف والخرق والخروج عن سنن اللغة ، والمجاز ،والألتفات وغيرها، ولكن هل هناك فروق بين المصطلحات أم أنها تدل على مفهوم واحد ؟.

من الذين استخدموا مصطلح العدول من القدماء الباقلاني إذ يقول عنه ((أما المبالغة فهي الدلالة على كثرة المعنى وذلك على وجوه : منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك كقولك رحمن عدل من راحم عادل، للمبالغة ...))[1].

وكذلك نجد عبد القاهر الجرجاني قد وظّف مصطلح العدول أيضًا فيقول ((واعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين قسم تعزي المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزي ذلك فيه إلي النظم ، فالقسم الأول للكناية والتمثيل الكائن على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع ،وعدول باللفظ الظاهر ، فما ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذ وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية ... ))[2].

ومن ذلك يتضح أن مصطلح العدول قد استخدم في التراث ، وبعبارات مختلفة ، فليس هو بمصطلح نحوي صرف ولا بلاغي صرف ، مثله مثل (القياس ) في أصول الفقه ، ورغم ما يحمله مفهوم نقض العادة والخروج عن السنن والأعراف سواء تمثل ذلك في المستوى الصوتي أو في المستوى

---

[1] - أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق ، أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر ، مصر ، 1994م ، ص190.

[2] -**عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة اليازحي ، القاهرة ، 1984م، ص430،429.**

الأفـرادي أو فـي المسـتوى الـدلالي للمفهـوم نفسـه إلا أن هـذه المفـاهيم تـدور كلهـا في المستوى التركيبي أوفي المستوى الدلالي .

وقـد أخذ(العـدول) مسـاحة كبيـرة عنـد المحـدثين ، ولكـن الإشـكالية كمـا هـو معلـوم فـي ضـبط المصـطلحات رغـم المجهـودات الكبيـرة المبذولـة لتوحيـده ؛ فعـدم اسـتقرار مفهـوم العـدول علـى تسـمية واحـدة يؤكـد ظـاهرة الانقـلاب والتشـتت التـي يعانيهـا المصـطلح بشـكل عـام ،لا سـيما قـد شـاع واتسـع عنـد القـدماء ولهـذا (( تتخـذ صـورة فوضـى المصـطلح النقـدي العربـي وقلقـه أشـكالاً متعـددة ، ومـن أمثلتهـا تعـدد المصـطلح فـي كتابـات النقـد المختلفـة ويتجلـى هـذا الأمـر عنـد كمـال ديـب الـذي سـماه مـرة الانحـراف وأخـرى الانزيـاح ، وتتخـذ صـورة عـدم الطمأنينـة فـي اسـتخدام المصـطلح شـكًلا آخـر إذ يعمـد الناقـد إلـى التـدليل علـى الظـاهرة نفسـها بـأكثر مـن كلمـة ، فقـد يسـتخدم بعضـهم كلمتـين متلازمتـين وذلـك مثـل (الانزيـاح للعـدول ) أو ( العـدول والانزيـاح ) أو (الانحـراف والازورار ) أو ( الشـذوذ والانحراف ) أو ( الخروج والانحراف ) أو ( تنحرف وتنزاح) ))[1]

وفـي مسـعى للوقـوف علـى اسـتخدامات مصـطلح ( العـدول ) الفنيـة ، نجـد الـدكتور عبدالسـلام المسـدي عنـدما تحـدث عـن الإنزيـاح رأى أنـه عسـير الترجمـة ؛لأنـه غيـر مسـتقر فـي تصـوره ، ولـذلك لـم يـرض بـه كثيـر مـن رواد اللسـانيات والأسـلوبية ، فوضـعوا مصـطلحات بديلـة .وذكـر أن ( الانزيـاح ) ترجمـة حرفيـة للفظـة (( LECART ))علـى أن المفهـوم ذاتـه يمكـن أن نصـطلح عليـه بعبـارة التجـاوز ، أو نحيـي لـه لفظـة عربيـة اسـتعملها البلاغيـون فـي سـياق محـدد وهـي عبـارة (العـدول)وعن طريـق التوليـد المعنـوي قـد نصـطلح لهـا علـى مفهـوم العبـارة الأجنبية ))[2].

وانطلاقـا مـن هـذه الترجمـة ، جـاء مسـعى إحيـاء مصـطلح عربـي صـميم هـو العـدول ليعطـي مسـاحة غيـر قليلـة مـن المـادة المشـكلة للجماليـة الشـعرية ، الأمـر الـذي تـم بـوعي عميـق بإنشـاء الأسـاليب العربيـة ،وقـدرها علـى العطـاء الجمـالي ،ولـم يـأت كـرد فعـل قـائم علـى التعسـف فـي طـرح البـدائل التراثيـة ، ولعـل

---

[1] –موسى سامح ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي ، الاردن ، **2003**م ، ص**46**.

[2]– عبدالسـلام المسـدي : الأسـلوبية والأسـلوب ، الـدار العربيـة للكتـاب ، تـونس ، ط**2**، **1982**م، ص**106**م.

ملاحظة الدكتور أحمد ويس من اعتماد تجربة التعاطي مع هذا المصطلح عند المسدي ما يفيد ذلك ، إذ يقرر أن الدكتور المسدي (( هو أول من لفت الانتباه إلى إمكان إحياء هذا المصطلح للمفهوم الأجنبي ، وكان ذلك في كتابه الأسلوبية والأسلوب ، غير أنه مع ذلك لم يستعمله في كتابه آنذاك واستعمل مصطلحًا آخر هو الانزياح ) ؛ ولكنه لم يثبت على هذا الأخير طويلاً فرغب عنه إلى ( العدول)، ولما سألته في ذلك أجاب عندما استعمل مصطلح( الأنزياح )ترجمة لمفهوم ــــ LECART ــــ أول مرة كان بقصد إبراز سمة الجدة من حيث هو متصور إجرائي طارىء على التأليف في اللغة العربية ، ثم جاء مصطلح (العدول) إحياء لمصطلح بلاغي تراثي لم يعد يجر محاير الالتباس ))[1].

ثم استعمل هذا المصطلح بصورة كبيرة ، حيث (( استعمل (العدول) غير المسدي كثير من الدارسين منهم تمام حسان ، وحماد صمود ،وهو يرى في مصطلح العدول أحسن ترجمة لمفهوم ــــ LECARTــــ ومصطفى السعدني ، وعبدالله صولة ، والطيب البكوش ، والأزهر الزناد ...... ))[2]

وقد وجد من المصطلحات الحديثة التي تعمل على تغطية الحدث الأسلوبي باعتباره خصوصية إجرائية لظاهرة العدول ، مصطلحات أخرى ،يمكن أن تضاف لهذا الحقل ، نذكر منها على سبيل المثال ما أضافه الدكتور صلاح فضل (( الذي أضاف كلمة( الكسر ) ونسبها إلى تيري ، وكلمة ( فضيحة ) ونسبها إلى بارت ، ونسب إلى (تودوروف) كلمة (شذوذ) ، وأما (آراجون) فنسب كلمة (الجنون )، كما أضاف عدنان ريل عدة مصطلحات أيضًا نذكر منها : (الجسارة اللغوية )و(الغرابة ) و(الابتكار) و(الخلق ) . وورد عن (جان كوهن) ، فضلًا عما اعتمده من الانزياح والانحراف والخرق ،لفظ آخر مرادف للانزياح هو (الخطأ)، إذ يقول : إن الأسلوب خطأ ؛ولكنه ليس كل خطأ أسلوبا ))[3].

---

1-**أحمد محمد ويس: الانزياح وتعداد المصطلح ، مجلة عالم الفكر العدد الثالث ، الكويت ، يناير /مارس ، 1997م،ص63.**

2- **المصدر السابق ،ص64.**

3- **نفسه ،ص65.**

إن كثافة الأسئلة المطروحة حول مفهوم العدول ( الانزياح) لا تؤكد أهمية البحث في مدلول الانزياح أوالعدول باعتبارها الخاصية الأساسية المنتجة للشعرية فحسب ؛بل دلت أيضًا على قلق في تصور الآليات التي تقف وراء إنتاج هذه المادة ؛وذلك يرجع إلى اختلاف المدارس والمنطلقات ، الأمر الذي حتم تجاوز هذه المصطلحات إلى أربعين مصطلحًا .

ومن المؤكد أن هذه المصطلحات لم تصادف الرواج نفسه عند الدارسين المحدثين ولا سيما عند العرب منهم لاسباب لعل من بينها عدم جدارة بعضها بالدلالة على المفهوم من ناحية ،ولإساءة الكثير منها للغة النقد الأدبي من ناحية أخرى ، ويضيف الدكتور صلاح فضل سببًا أخر فيقول: ((أنها تقريبًا كلمات ذات إيحاءات أخلاقية موسومة ، مما يبرر بعض ردود الفعل الرافضة لها ،على اعتبار ما يمكن أن تفضي إليه في نهاية الأمر من العودة إلى النظرية التي كانت شائعة في القرن الماضي ، والتي يعد الفن بمقتضاها ظاهرة مرضية ،والشاعر إنسان عصامي ...))[1].

وليس من المبالغة أن نقرر ضرورة ارتباط المصطلح بالبيئة الثقافية التي نشأ فيها وأفرزته ؛لأنه في المحصلة النهائية استقطار رشحت منه مادة كثيفة ، تختزل تجارب عديدة لظاهرة النشاط الإنساني لتلك البيئة ، لهذا الأعتبار ولغيرة من المبررات التي تدفع إلى ضرورة السعي إلى الكشف عن مصطلح عربي صميم من غير شك يظل وفيًا للثقافة وأقدر تعبيرًا عنها كماهو الحال في مصطلح العدول .

ولذلك عند النظر للبلاغة العربية من الناحية الفنية ، وهي تعمل من أجل التمكين للقيم الأدبية ، نجد أنها تنتهي نظريًا إلى إقامة منظومة شعرية تعدو وضع المصطلحات إلى تعسف في التعبير عن تلك القيم ، ومن هنا نستطيع أن نبحث عن أصل مصطلح (العدول )وهو يؤشر على منسوب الجمالية في صناعة التأثير عند المتلقي ، بما تتيحه إجراءاته من قدرة على التشكيل الأسلوبي ، ومصطلح ( العدول ) نفسه، وبنفس المتطلبات نجده في الخصائص لأبي الفتح بن جني ((وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة

---

[1] -صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، 1992م، ص64.

لمعان ثلاثة وهي الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة )) [1]

لقد ساهم الفلاسفة في إثراء الحديث عن العدول ، ومسوغاته وعلاقته بالموروث العربي ، ومن ذلك نجد الدكتور المسدي يعرض رؤية ابن سينا عندما عالج مسألة الطاقة الإبلاغية في اللغة من حيث الفارق بين النمطي والطارىء فيصل إلى (( اعتبار أن الألفاظ متى استعملت على وضعها الأول كانت دلالتها (مناسبة) و(معتادة ) وهو ما يتوصل إليه بعد التحليل في قوله :( الدلالة الناصة ) مقابلا بينها وبين الدلالة (المخترعة )التي هي (المستعارة) و(المجازية) .))[2].

ثم يرصد الدكتور المسدي العديد من المصطلحات التي تشتبك مع (العدول) في البلاغة العربية ، وإن كانت المعالجة لغوية (( ويزيد ابن سيناء الموضوع تدقيقًا عندما يهتدي إلى جملة من المتصورات العلمية في وصف ظاهرة التحول الدلالي فيقف على خصائص الطاقة التعبيرية بالكلام متطرقًا إليها من نافذتي ( التصريح والتعجب) ))[3].

وبهذا يصبح العدول مصطلحا عربيا قديما ، تطرق له القدماء في الدرس اللغوي ، والبلاغي ، والأصولي والفقهي ، ولكن تحت مسميات أخري ، فبعضهم يسميه (الانحراف ) و(التحويل ) و (الخروج ) و( المجاز ) و(التغيير ) .... ،والمحدثون عرضوا له من خلال (الانزياح ) وأفاضوا في دراستة ، وتوضيح الخلاف بينه وبين المصطلحات المجاورة له أو القريبة منه ، وذكر الفروق بينه وبين المصطلحات الأخري مثل ( اللحن ، الانزياح ، الانحراف ) وغيرها.

---

1-أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ،ط2، 1957م، ج2،ص442.

2-عبدالسلام المسدي : قضايا العلم اللغوي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1994م ، ص117.

3-عبدالسلام المسدي : قضايا العلم اللغوي،ص117.

١

## الفصل الاول

## العدول التركيبي فى شعر سعاد الصباح

### المبحث الأول : مفهوم العدول التركيبى

قد تناولنا من قبل لفظ العدول فى تناولنا للمفهوم من منظور الدراسات اللغوية القديمة، وبقى أن نتعرف على المقصود بالتركيب ليتأتى لنا أن نستصحب فى دراستنا هذه تعريفا نرتضيه لمصطلح العدول التركيبى، والتركيب فى اللغة ينصرف إلى ما يتعلق ببناء الجملة وأنساقها فتركيب الجملة العربية، كما نعلم، ينقسم إلى الجملة الفعلية والجملة الاسمية، ولكل منهما نسقه الخاص فى ترتيب الكلمات فى سياق الجملة وبنيانها، وهذا الترتيب المنتظم لأجزاء الجملة التى بها يفهم المعنى ويتم مقصود الخطاب من توصيل المعنى المتضمن فى الجملة من المخاطب (بكسر الطاء) إلى المخاطب (بفتحها)، وقد يحدث على هذا التركيب النموذجى تصرفات من قبل المتحدث لأغراض يتوخاها أو ضرورات يقتضيها الخطاب وهى موضوع الدراسات البلاغية لا سيما علم المعانى الذى يعنى بهذه التغيرات التى تلحق التركيب وفق الأغراض الخاصة المكتنفة للموقف الخطابى، وهى ما عرف بالأغراض البلاغية فى درسنا

البلاغى . من هذا العرض فإن العدول التركيبى هو ذلك الضرب من العدول الذى يلحق بنية الجملة لأغراض يقتضيها المقام ويلحظها منتج الجملة حال صياغته لها .

وللعدول التركيبى على هذا النحو صور متنوعة منها العدول بنقص الرتبة وهى تتناول فى الغالب ظاهرة التقديم والتأخير فى الجملة ، والعدول بالحذف أو بالإضافة، أو غير ذلك وهوما نتاوله فى المبحث التالى.

**المبحث الثانى : صور العدول التركيبى وتطبيقاتها فى شعر سعاد الصباح**

**أولا: العدول بنقص الرتبة**

يقصــد بــنقص الرتبــة فــى بنــاء الجملــة أن يتغيــر وضــع الكلمــة فــى الســياق عــن الرتبــة المســتحقة لهــا فــى أصــل الوضــع اللغــوى المنــتظم وهــو مــا يعــرف بمصطلح آخر بظاهرة التقديم أو التأخير .

والتقــديم فــى الجملــة اللغويــة هــو فــى حقيقتــه تبــادل فــي المواقــع ، حيــث تتــرك الكلمــة مكانهــا فــي المقدمــة لتحــل محلهــا كلمــة أخــرى لتــؤدي غرضــاًبلاغيًا مــا كانــت لتؤديــه لــو أنهــا بقيــت فــي مكانهــا الــذي حكمــت بــه قاعــدة الانضــباط اللغــوي ، و بطبيعــة الحــال يســتلزم التقــديم تــأخيرا بالضــرورة فالمبتــدأ الــذي يتــرك مكــان المقدمــة للخبــر يحــدث بينهمــا التقــديم والتــأخير، لأننــا حــين نقــدم مــالا حــق لــه فــي التقــديم " نكــون قــد أحــدثنا تفســيرا فــي المواقــع والصــلاحيات ،وفــي الأضــواء وفــي الأثــر النفســي لأن المقــدم يحتــل مركــزا ممتــازا فهــو أول مــا تقــع عليــه العــين وأول مــا تتــأثر بــه وأول ماتعجــب بــه ، وأول مــا تقــع الــنفس تحــت أضــوائه فتنشــغل بــه ؛لأنــه يســتحق هــذا ؛ولأنــه فــي غيــر مكانــه الــذي تعودنــا أن نــراه ثــم تــأتي الألفــاظ الأخــرى فتكــون الشــحنة التــي اســتحوذ عليهــا اللفــظ المقــدم " (1).

ويعــدُّ أســلوب التقــديم والتــأخير أحــد الأســاليب المهمــة فــي الأداء اللغــوي الفنــي ، وإذا كانــت أســاليب اللغــة الأخــرى لهــا واجهــة نفســية ومــدلولات وجدانيــة فــإن لهــذا الأســلوب مــدلولاً نفســياً متميــزاً ، وهــو مــرتبط بنفســية المبــدع أو منشــئ الــنص ، وقــد أشــار إلــى ذلــك القــدماء قبــل دارســي الأســلوبية المحــدثين ، فمــن جُملــة تعلــيلاتهم لهــذه الســمة الأســلوبية قــول عبــد القــاهر الجرجــاني : " واعلــم أنــا

---

1- بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، 1988م، ص138.

لـم نجـدهم اعتمـدوا فيـه شـيئاً يجـري مجـرى الأصـل غيـر العنايـة والاهتمـام 000 كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم ، وهم بشأنه أعنى "[1]

والعنايـة والاهتمـام مطلبـان نفسـيان مجمـلان ، و وراؤهمـا مقاصـد نفسـية شـتى[2] ، و " أن الأغـراض والمقاصـد هـي المعـاني الجائلـة فـي النفـوس ، وهـذا ظـاهر " [3] وبحسـب هـذه الأغـراض وتلـك المقاصـد يضـع المـتكلم قولـه ، ويصوغ منطقه .

ويتخـذ موضـوع التقـديم والتـأخير مكانًـا مهمـا فـي الـدرس البلاغـي يرجـع فـي أصـله إلـى أهميـة مـا يقـوم بـه الكـلام الأدبـي ، وهـو انزيـاح فـي التراكيـب ؛لأنـه لا يظهـر إلا مـن خـلال التراكيـب بـل لعلـه أظهـر مـايقوم بـه المبـدع مـن تراكيب [4].

وهـو كمـا يقـول الجرجـاني كثيـر الفوائـد جـم المحاسـن ،واسـع التصـرف بعيـد الغايـة ،ولا يـزال يفتقـر لـك عـن بديعـه ،ويفضـي بـك إلـى لطيفـه ولاتـزال شـعرا يروقـك مسـمعه ويلطـف لـديك موقعـه ثـم تنظـر فتجـد سـبب مـا راقـك ولطف عندك أن قدم فيه وحول اللفظ عن مكان إلى مكان [5]

ومـن المهـم الإشـارة إلـى أنَّ تحديـد ماهيـة أسـلوب التقـديم والتـأخير فـي البلاغـة العربيـة وأسـاليب الأدب العربـي لـم تنحصـر فـي ظـواهر العـدول عـن الأصـل كتقـديم الخبـر علـى المبتـدأ فـي الجملـة الاسـمية ، وتقـديم متعلقـات الفعـل العامـل مـن مفعـولات وكونهـا علـى الفعـل العامـل ، بـل إنَّ الدراسـات البلاغيـة القديمـة تناولـت فـي هـذا الإطـار كـل متقـدم فـي الكـلام، سـواء أجـاء علـى أصـله كتقـدم المبتـدأ علـى الخبـر أو خـرج عـن هـذا الأصـل ، واسـتنبط البلاغيـون مجموعـة مـن القواعـد البلاغيـة التـي عللـت هـذه الظـواهر الأسـلوبية[6]، ومـن

---

1 – دلائل الإعجاز / 136.

2– وقد وضح الشيخ عبد القاهر الجرجاني هذه المقاصد على وفق طريقته الخاصة التي تتناسب مع عصره آنذاك . ينظر : دلائل الإعجاز / 136–162.

3– مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، د. محمد أبو موسى / 71.

4–الانزياح في التراث البلاغي : أحمد محمد ويس ، 163.

5 – دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ، ص98.

6–الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : 52/1–55 .

المقـــرر لـــدى دارســـي الأســـلوب أنَّ رصـــد العنصـــر الأســـلوبي لا يقتصـــر علـــى مـــا يوصـــف بالعـــدول عـــن الأصـــل مـــن مكونـــات الـــنص ، بـــل يشـــمل عناصـــر اللغـــة التـــي تُمثِّـــل ظـــاهرة لغويـــة فـــي الـــنص المـــدروس[1]، إذْ إنَّ هـــذا المـــنهج ينســـجم مـــع تحديـــد ماهيـــة الأســـلوب الـــذي يتـــألف مـــن عناصـــر بنـــاء الـــنص جميعهـــا ســـواء التـــي جـــاءت علـــى أصـــل القاعـــدة اللغويـــة أو خرجـــت عـــن الأصـــل اللغـــوي المُطَّـــرِدِ وبشـــرط أنْ تصـــل الـــى كونهـــا تشـــكل ظـــاهرة .وســـنقف فـــي هـــذا المجـــال علـــى نمـــاذج مـــن ظـــاهرة التقـــديم والتـــأخير علـــى وفـــق كـــون هـــذه الظـــاهرة ملمحـــاً أســـلوبياً اســـتثمرته الشـــاعرة لتجســـيد ذاتهـــا المتمثلـــة بــــ " الأنـــا " ، ويـــدخل فـــي هـــذا الجانـــب تقديم الألفاظ المجسدة لذات الشاعر المباشرة كالضمائر وغيرها.

نقرأ فى قصيدة ( التخرج ) من ديوان " خذنى إلى الشمس" [2]:

**أيُّها السيّدُ المخبوءُ في ساعة معصمي ...**

**أيُّها المتحالفُ مع الوقتِ ضدّي ...**

**و المتحَالفُ مع أساوري ضدّي ...**

**و معَ أهدابي .. و أثوابي ..**

**و طلاءِ أظافري ضدّي ...**

**أيُّها المتآمر مع كتبي ... و أوراقي ...**

**و رائحة القهوة ضدّي . . .**

**ليتَّكَ تأخُذُ إجازتك**

ونقرأ فى الديوان نفسه من قصيدة (رائحةُ صوتك ) .[3]

**تدورُ المقاهي حولَ نفسها . .**

**تدور كلماتُكَ حولَ أنوثتي . .**

**تدور الذكرياتُ حولَ عنقي . . .**

**أهربُ من رائحةِ صوتِك . . .**

---

[1] - ينظـــر : علـــم الأســـلوب – مبادئـــه وإجراءاتـــه ، د. صـــلاح فضـــل / 179 ، 180 ومـــا بعـــدها .

[2]ديوان خذنى الى الشمس سعاد الصباح ، ص 3

[3]–ديوان خذني إلى حدود الشمس : سعاد الصباح ، ص22.

**إلى غرفتي .**

ونلاحظ هنا تكرار حرف ياء المتكلم الذى يشير الى الشاعرة نفسها ففى قصيدة يتكرر حرف ياء المتكلم ثمانى مرات وفى السطور من قصيدة رائحة صوتك نراه يتكرر ثلاث مرات وفى كلمات هى أقرب والصق بذاتها ( أنوثتى ) و ( عنقى ) ( غرفتى )

وهكذا يسهم النص فى تجسيد ( الأنا ) بوضوح من خلال هذه التقنية البسيطة المستخدمة بعناية ، فالبناء هنا وإن كان طبيعيا أى فى سياقه المعتاد دون تقديم أو تأخير لكنه حقق أغراضه المرجوة من خلال هذه التقنية المباشرة اليسيرة ، وهو غاية ما يرتجى من شاعر.

أما توظيف التقديم لتحقيق أغراض فنية محددة فهو ما يمكن أن نراه فى غير موضع مثل ما نرى فى هذه السطور التالية من قصيدة التخرج أيضا :

**فالوَقتُ معَك لا يُحْتمل**

**و الوقتُ بدونك لا يُحتمَل**

**و الزّمن لا يأخذ شكله النهائي ...**

**إلا عندما يمرّ من بين أصابعك ...**

والمبتدأ هنا يبدو وكأنه فعل الفاعل وكأنه تقدم عليه وهو تقديم يشير إلى امتلاك ناصية اللغة وبراعة فى توظيف أدواتها فالأمر يتعلق بالزمن وأثره فى بناء اللحظة الفارقة فى حياة الشاعرة فى علاقتها بفارس أحلامها فالزمن هو فاعل الفعل الحقيقى ولكنه تفدمه لانه بطل الموقف الحقيقى الذى يشير إلى الدور المحورى للرجل فى حياة الشاعرة فهو ممتزج بالزمن بحيث لا يكون للوقت قيمة بدون تشكيله فالزمن أداة وهو أداة فاعلة بالوقت ذاته وهو ما افصحت عنها كلمات الشاعرة المنتقاة والمرصوفة رصفا متقنا.

وفى السطور نرى تقديم الظرف الملازم للوقت وإن بدا مكانيا ( معك ) ( بدونك) ( من بين ) هو تقديم لا يخلو من دلالة فى ضوء ما أسلفنا من علاقة فارس الأحلام بالزمن فاعلا فيه ومؤثرا ملتبسا به.

ويبدو أن تقديم الظرف كتقنية دالة مما يستهوى الشاعرة حيث نراه فى قصيدة أخرى هى قصيدة (سميفونية الأرض) التى تتغنى فيه منبهرة بما يجرى فى الأرض المحتلة من ملحمة خالدة يخطها أطفال الحجارة ، تقول في (سيمفونية الأرض )[1]

---

[1]–ديوان خذني إلى حدود الشمس ، سعاد الصباح ، ص46.

**تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمَهْ**

**تَتَوالى . .**

**تَتَوالى . .**

**مثلَ ضَرْبَاتِ القدَرْ**

**مرّةً في بيتِ لحمٍ**

**مَرّةً في غزّةٍ**

**مَرّةً في الناصِرَهْ**

**قلَبتْ طاولةَ الرُوليت , علينا . . .**

**سَحَبَتْنا فجأةً من قدَميْنَا . . .**

**كنْسّبْ في لحظةٍ أسماءَ كلّ الزُعَماء**

**أغلقتْ بالشّمْع أوكارَ السياسَهْ**

**و دكاكينَ الخَدَرْ**

**ذَبَحَتْ كلّ البَقرْ**

**فاستقيلُوا يا كبارَ الشُعرأءْ**

**ليس للشِّعْر أميراً واحداً يُدْعى الحَجَرْ**

فالظرف ( مرة ) الذى يتكرر ثلاث مرات و ( فجأة ) الذى يظهر وسط الجملة رباعية الكلمات ليوقظنا على حقيقة مؤلمة ثم ( فى لحظة ) الذى يومض كالبرقة الخاطفة ليرينا بشاعة ما يجرى مما سجلته الجملة كل هذه الكلمات كانت لها وظائفها الحقيقية فى بناء الجملة مما يجعلنا بالفعل نشهد للشاعرة ببراعة الصياغة الشعرية بلا ريب.

ومع مزيد من البحث عن الشاعرة فى وجه آخر من وجوه التقديم الذى يبدو أن لها ولعا خاصا به سنرى تقديم الخبر على المبتدأ ( مرآتى أنت ) ( معك خرائط كل الامكنة ) و( بيديك مفاتيح لغتى ) فنقرأ فى قصيدة ( حرائق على الثلج ) هذا المعنى الجميل[1] :

**يا الذي لا يشبه رجلاً**

---

[1] المرجع السابق

**و لا يشبهُهُ رجلْ**

**مرآتي أنـْت . . .**

**فما أجمل وَجهي .**

وهكذا تعددت لدى الشاعرة صور هذا الضرب من ضروب العدول التركيبى التى تشي من جهة باهتمام واضح لديها بهذا الضرب وإدراكها لأهميته الوظيفية فى بناء الجملة ، وتشى كذلك بقدرتها الواضحة على الانتفاع به وحسن توظيفه فى توصيل معانيها التى تسكن مشاعرها المرهفة .

ونقرأ فى القصيدة ذاتها [1]:

**إلى أيّة مدينةٍ من مدُن العالم .. سأذهبْ**

**و معكَ خرائطُ كلّ الأمكنة**

**و في أيّ مقهى سأجلسْ**

**و أنتَ احتكرت أشجارَ البُنّ**

**و رائحة القهوةْ ؟**

**و بأيّة لغةٍ سوف أتكلّم**

**و بيديّكَ مفاتيحُ لغتي ؟ ...**

**<u>ثانيا: العدول بالحذف</u>**

**الحـذف فـي اللغـة** : الاسـقاط ، ومنـه سـقط الشـعر إذا أخـذت منـه ، ويقـال حـذف الشـيء حـذفًا أي قطعـه مـن طرفـه ، ويقـال حـذف الخطيـب الكـلام هذبـه وصـفاه " (2).

**وفـي الاصـطلاح** : إسـقاط جـزء الكـلام أو كلـه لـدليل ، وأمـا قـول النحـويين : الحـذف لغيـر دليـل ، ويسـمى اقتصـارا ؛فـلا تحريـر فيـه ،لأنـه حـذف فيـه بالكليـة" (1).

---

[1]المرجع السابق

[2]–المعجم الوسيط : 192/1.

وللحـــذف فـــي" الجملـــة العربيـــة أنمـــاط تركيبيـــة معينـــة ،ففـــي الجملـــة أركانهـــا ومكملاتهـــا ،وفـــي عناصـــرها مـــا يفتقـــر إلـــى غيـــره ، ومـــا يســـتغني المعنـــى عـــن تقـــديره ، فـــإذا لـــم تشـــتمل الجمـــل علـــى أحـــد أركانهـــا ، أو مـــا يقتضـــيه المعنـــى أو تقتضـــيه التراكيـــب مـــن مكملاتهـــا وعناصـــرها الأخـــرى ،ثـــم اتضـــح المعنـــى بـــدون ذكـــر هـــذه العناصـــر لوجـــود الـــدليل علـــى المحـــذوف عـــددنا ذلـــك حـــذفًا جـــيء بـــه لطلـــب الخفـــة اختصـــارا أو اقتصـــارا أو تجنبًـــا للحشـــو أو لســـبب أخـــر غيـــر ذلـــك ، وكـــل عنصـــر مـــن عناصـــر الجملـــة صـــالح لأن يحـــذف إذا قـــام الـــدليل عليـــه ، فأمكن تقديره في الكلام "[2].

وقـــد يحســـن الحـــذف أحيانـــا فـــي الحـــرف أو الضـــمير أو الكلمـــة المفـــردة أو أحـــد أركـــان الجملـــة أو تكميلاتهـــا ، كمـــا يحـــذف مـــن الكـــلام مـــا يقتضـــيه المعنـــى وإن طال الكلام المحذوف " [3].

ويعـــد الحـــذف تحـــولاً فـــي التركيـــب اللغـــوي ، ويثيـــر القـــاريء ، ويحفـــزه نحـــو استحضـــار الصـــورة ، أو ســـد الفـــراغ ، كمـــا أنـــه يثـــري الـــنص جماليـــا ، ويبعـــده عـــن التلقـــي الســـلبي فهـــو أســـلوب يعمـــد إلـــى الأخفـــاء والاســـتعباد بغيـــة تعددية الدلالة وانفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة .

وقـــد حـــاول القـــدماء تفهـــم هـــذا البعـــد ضـــمن إطـــاري الحضـــور والغيـــاب ، وعمـــدوا إلـــى حصـــر أشـــكاله فـــي تلقـــي النصـــوص القديمـــة علـــى نحـــو لغـــوي " لاســـتخلاص مـــا فيهـــا مـــن ألـــوان الجمـــال أو لرصـــد مـــا فيهـــا مـــن ظـــواهر القـــبح ، وبمعنـــى آخـــر كانـــت هـــذه الخاصـــية مـــن أهـــم مظـــاهر تقيـــيم العمـــل الأدبـــي ، وتبـــدو مقـــدرة القـــدماء فـــي إدراكهـــم أن بعـــض العناصـــر اللغويـــة يبـــرز دورهـــا الأســـلوبي بغيابها أكثر من حضورها " [4].

ويلتقـــي موضـــوع الحـــذف هـــذا وارتباطـــه بالســـامع بمفهـــوم الافتـــراض المســـبق ، الـــذي هـــو أحـــد مجـــالات اللســـانيات التداوليـــة الحديثـــة ، ويهـــتم بدراســـة

---

[1]– البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 102/3.

[2]– البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ص370،371.

[3]–خصائص التراكيب اللغوي في " بوابات النور " : خليفة بو جادي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص100.

[4]– جدلية الأفراد والتركيب : محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر والطباعة ، 1994،ص 181،182.

المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع ، أو بين ما ينبغي أن يكون معروفًا أو يفترض العلم به سابقًا قبل إجراء الخطاب ، فهو : مفهوم برجماتي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من المعلومات المشتركة أي المعروفة مسبقًا ، لدى المتكلم أو المخاطبقادر على الحركة والإجابة ، وكأن المتكلم نفسه في منزلة الآمر [1].

ويقول الإمام الزركشي في فائدة الحذف :" من التفخيم والإعظام لما فيه من الايهام لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشويقه إلى المراد فيرجع قاصرًا عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ،ويعلو في النفس مكانه ، ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر اللفظ المحذوف زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور " [2].

ومن أهم من تنبه إلى الأبعاد الجمالية الكامنة وراء ظاهرة الحذف هو الإمام عبد القاهر الجرجاني ،بل إنه عدَّ الحذف من عوامل الإجادة والأبداع ، فيقول :" فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرارها واحدا واحدا وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف ، وإذا أنت مررت بموضع الحذف منها ،ثم فليت النفس عما تجد ،وألطف النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ،وأن تخرجه إلى لفظك ،وتوقعه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ،وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد " [3].

وبهذا يعد الحذف وسيلة من" أجل الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيري قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه ، أي الأقناع فضلا عن استغلال سمات جمالية تضفي على الخطاب سمات الجمال أي الإمتاع " 4

وإذا ذهبنا نتتبع مدى ظهور ظاهرة العدول بالحذف لدى الشاعرة سيكون حسنا أن نبدأ بذلك التجلي الأخير للزاهرة الذى أشرنا إليه وقد عالجه الناقد تركى المغيض في دراسته التي حملت عنوان: (صوت الآخر في شعر

---

[1]– المرجع نفسه، ص183.

[2]– الاتقان في علوم القرآن : الزركشي ، 102/3.

[3]–دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ،ص 151.

[4]– لسانيات النص : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1991، ص95.

سعاد الصباح) حيث يرى أن الشاعرة تتحدث عن الحبيب بما يدخل في باب "النمذجة" فيقول تحت عنوان: (الرجل الرمز) [1]

(.. وجاء وصفها لزوجها ليس باعتباره زوجا فقط، وإنما كونه يجسد آمال وتمنيات المرأة في الرجل. ولذلك فقد تجاوزت سعاد الصباح في تقديمها لصورة هذا النموذج الذاتية إلى خلق حالة موضوعية، وانتقلت من الحديث عنه كزوج إلى الحديث عنه كرمز.

والمتتبع لسيرة الشيخ عبدالله المبارك مع الشاعرة يدرك مكانته في حياتها فهو الذي أعطاها الحرية وفتح لها باب الحوار مع موهبتها الشعرية وهو من ركب لها أجنحة تحلق بها في عالم الأدب والشعر، وهو الذي هيأ لها فرصة البلوغ إلى أعلى المراتب العلمية والأكاديمية في حياتها, أضف إلى ذلك ما كان للشيخ من مزايا الرجل الحاكم الذي كان له دور كبير في دولته.

يتابع "المغيض": ومن أكثر القصائد تحديدا لملامح الرجل الزوج و الرمز وهو على قيد الحياة قصيدة "هل نسيتم"؟ صاغتها الشاعرة تحت تأثير ظرف محدد ولذلك نجدها تركز على الجوانب العامة الإنسانية في شخصيته:

**كان في معشره صدرا حنونا**

**وسنى.. يبهر بالحب العيونا**

**وندى كالغيث في كف السماء**

**وإباء ألمعي الكبرياء**

**وله قلب الصغار الأبرياء**

**كله خير وطهر ووفاء**

**أنسيتم أنه صقر الخليج..**

**مُشرق الطلعة .. فواح الأريج**

---

[1]– خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور، مرجع سابق، ص101.

وواضح أن سعاد الصباح هنا – حسب المغيض – لم تركز على عبدالله المبارك كزوج وإنما كرجل رمز ومعلم و وطني مخلص ، وقد تحدثت عنه في كتاباتها وحواراتها كثيرا، فتقول عنه بأنه "رجل حضاري بكل معنى الكلمة، يؤمن بالعلم والمعرفة، وبحق المرأة أن تشق طريقها على قدم المساواة مع الرجل، وإذا وصلت إلى ما وصلت إليه من المعرفة فإن عبدالله المبارك كان وراء مجدي وانتصاراتي".[(1)]

وفى ضرب آخر من ضروب العدول بالحذف التى نلمسها لدى الشاعرة ذلك الذى نراه فى قصيدتها ( القبض على فاطمة )[2] حيث تقول :

**هذي بلادٌ . . تَخْتِنُ القصيدةَ الأنثى . .**

**و تشنُقُ الشمسَ لدى طُلوعِها**

**حفظاً لأمنِ العائلة**

**و تذبَحُ المرأةَ إن تكلّمَتْ**

**أو فكّرَتْ**

**أو كتَبَتْ**

**أو عشَقَتْ**

**غَسلاً لعارِ العائلةْ . . .**

فنحن هنا بإزاء بلاد تبدو مجهولة جهالة الكلمة النكرة التى تعبر عنها ولكنها تخرج من مجهوليتها نحوا ما لدى القارئ لانها مشار إليها فهو وإن حذفت الأسماء المعبرة عن هذه البلاد فهى فى الحقيقة غير مجهولة و من ثم تأتى روعة التعبير وسر من أسرار تأثيره وقوته ، ولا يخلو استخدام الجمع ( بلاد ) من دلالته فهى لا تخص بلدا بعينه بل حزمة من البلاد يعرفها القارئ كما تعرفها وإن لم تسمها.

ومن صور الحذف المبتكرة هو ما يمكن تسميته ( حذف المتوقع ثم إعلانه كالمفاجأة ) وأعنى به أن الشاعر قد يلقى الكلمة ويكتب بعدها

1–حمامة السلام : علي المسعودي، ص 91 وما بعدها .

2سعاد الصباح ، ديوان خذنى إلى الشمس ص 28

حروفـا تشـير كـأن هنالـك معـانى محذوفـة مضـمرة وكأنهـا تقـف علـى تلـك الكلمـة هنيهـة لتثيـر ذهـن القـارئ ثـم تفاجئـه بالكلمـة التـى هـى اختيارهـا فيكـون فـى ذلـك مـن التشـويق والامتـاع للمتلقـى مـا فيـه وهـى تشـير إلـى أن الشـعر بالأسـاس ظـاهرة صـوتية وقوتـه فـى القـراءة أكثـر منهـا فـى الكتابـة وهـذه الظـاهرة علـى هـذا الضـرب كمـا أجرتـه الكاتبـة فـى دواوينهـا هـو علامـات الابـداع الملهـم بغيـر شك ، قالت في ذات القصيدة السالفة ( القبض على فاطمة ) [1].

**هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضة . .**

**و لا تريدُ امرأة غاضبةً**

**و لا تريدُ امرأة خارجةً**

**على طقوُسِ العائلة**

**هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً . . .**

**تمشي أمامَ . . . القافلَهْ . . .**

ثم تقول [2]

**هذي بلادٌ أكلتْ نساءها . . .**

**و اضطجعتْ سعيدةً . .**

**تحت سياطِ الشمسِ و الهجيرْ**

**هذي بلادُ الواق و الواق . . التي تصادرُ التفكيرْ**

**و تذبحُ المرأةَ في فراشِ العُرْسِ . . كالبعيرْ . .**

**و تمنعُ الأسماكَ أن تسبحَ**

**و الطيورَ أن تطيرْ . .**

**هذي بلادٌ تكرهُ الوردةَ إن تفتّحتْ**

---

[1]–ديوان خذني إلى حدود الشمس، ص28.

[2]––ديوان خذني إلى حدود الشمس، ص28

**و تكرهُ العبيرْ**

**و لا ترى في الحُلْمِ إلا الجِنْسَ . . و السريرْ . . .**

ومن صور العدول بالحذف ذلك الذى يمكن وضعه فى باب ( ولكم فى القصاص حياة ) أى تلك المعانى البليغة الموجزة التى تحمل فى طياتها معانى أعمق فوصف البلاد بأنها أكلت نساءها وتمنع الطيور أن تطير وتكره العبير ولا ترى فى الأحلام إلا السرير فيها جميعا من المعانى اللطيفة ما فيها وما يستحق الإشادة .

أما الصور البسيطة الأخرى من صور العدول بالحذف كحذف الحرف أو الكلمة أو نحو ذلك بدلالة السياق على المحذوف فلا يبدو أن الشاعرة تميل إليه لأنه لا يمثل الوجه الذي تميل إليه طباع الشعراء فلا تكاد تقف من ذلك إلا على مواضع محدودة هنا وهناك .

وعلى عكس ما نرى توفيق الشاعرة فى استخدام تقنياتها إلا أن تشبيه المرأة بالبعير لا يبدو موفقا على الاطلاق وقد نرى أنه لم يضطرها إليه سوى القافية فالصورة الذهنية لذبح البعير فى ضخامته وقوته ومقاومته أحيانا لا تتناسب مع ما أرادت من ذبح المرأة ليلة عرسها ذبح سماح واستسلام كما أنك لا تكاد تجد رابطا من أى وجه للشبه هنا بين المرأة والبعير غير لون الدم عند الذبح ولعله غاية ما أرادت الشاعرة أن توحى به لكننى أرى أنه قد خانها التعبير هنا على نحو ما ، وهو ما أحببت الإشارة إليه إشارة عابرة كما نشير إلى مواضع إجادة الشاعرة وحسن استخدامها تقنياتها .

## ثالثا: العدول بالزيادة

**الزيادة في اللغة** :" النمو ، والإضافة ، ومضاعفة الشيء " [1].

**وفي الاصطلاح** جاءت التعريفات كالآتي " للجملة أركانها وفضلاتها من المنصوبات والمجرورات ، فإذا ورد فيها غير ذلك فهو زائد على مطالب الصحة والإفادة ، وما دامت زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فإن في زيادة المبنى تأكيدا للمعنى ....والزيادة إحدى وسائل التوكيد لا مشاحة في ذلك "[2].

فالزيادة تعني إضافة كلمة إلى الجملة أو حرف إلى أحدى كلمات الجملة لغرض ما؛ كأن يؤكد معنى موجودا، فكل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في

---

1- الصحاح في اللغة : الجوهري ، 481/2.

2-البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ص172.

المعنـــى ، وهـــذه الزيـــادة المضـــافة لا تفيـــد صـــحة وإفـــادة ،وذلـــك أن الجملـــة صحيحة مفيدة بدون هذه الزيادة .

ولا يعنـــي القـــول بالزيـــادة أن هـــذا مـــن قبيـــل الحشـــو الـــذي لا فائـــدة منـــه ، وإنمـــا حـــدد النحـــاة لكـــل جملـــة أركانهـــا ومكملاتهـــا القياســـية ، بحيـــث يـــتم المعنـــى الـــوظيفي للجملـــة بوجـــود هـــذه العناصـــر ، ولكـــن المعنـــى المطلـــوب بالجملـــة لـــيس وظيفيـــا فقـــط ،وإنمـــا يتخطـــى مجـــرد الوظـــائف مـــن فاعليتـــه إلـــى مفعوليتـــه ، فيســـلك مســـالك أســـلوبية لا يحققهـــا إلا العناصـــر الزائـــدة علـــى مجـــرد الـــنمط التركيبـــي ذي المعنـــى الـــوظيفي ، وإذا كـــان النحـــاة مســـؤولين عـــن وصـــف هـــذه العناصـــر بالزيـــادة ، فـــإن البلاغيـــين يعترفـــون بمـــا تضـــيفه هـــذه العناصـــر إلـــى المعنـــى ، حيـــث يقولـــون " زيـــادة المبنـــى تـــدل علـــى زيـــادة المعنـــى " ويقصـــدون بزيـــادة المعنـــى مـــا يلحقه التوكيد من جراء الزيادة في المبنى " [1].

قالت سعاد الصباح في قصيدة ( اعتذر لك ) [2].

**أعتذِرُ لكَ يا سيّدي . .**

**أعتذِرُ لكَ يا سيّدي . .**

**أعتذِرُ لكَ . . من أعماق القلب ,**

**و من تشققات الفكر ,**

**عن الزّمنِ الضائع . . .**

**الذي لم تكُن فيه حبيبي**

**أعتَذر لَك عن الصّيْفِ و الشّتاءْ**

**و عن الخريفِ و الرّبيعْ**

**و عن كلّ جزءٍ من أجزاءِ الثّانيَة ...**

**لمْ أُخبئك به تحت أجفاني**

**و لم أسقِكَ من حليبِ حناني**

---

[1]–البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ص285.

[2]– ديوان خذني إلى حدود الشمس : سعاد الصباح ، دار الصباح للنشر والتوزيع ، 1997م، ص11.

في القصيدة نجد سعاد الصباح التي هامت عشقا بزوجها عبدالله بن المبارك ، وهي بذلك تستخدم كل طاقتها في إيصال هذه الصورة من خلال الزيادات التي تسوقها في القصيدة فأولها زيادة جملة أو عبارة ذات دلالة كما نرى فى إضافتها عبارة ( من أعماق القلب ) التى استغنت عنها فى السطور السابقة التى كررت فيها الاعتذار، ثم كانت عبارة من أعماق القلب إضافة تشير إلى عمق معنى الاعتذار وصدقه ، وإن لم تكن – بتقديرى - بالغة الروعة إذ هى مما هو من معتاد القول فى مواقف الاعتذار .

وهناك صورة أخرى لا تخطئها العين من صور العدول بالزيادة وهى تكرار الكلمات ذاتها كما نرى فى افتتاحية القصيدة وهذه التقنية بالمناسبة من التقنيات التى تكثر فى شعر سعاد الصباح والتكرار والالحاح على الألفاظ والمعانى قريب من طبيعة الأنثى بوجه عام ، وهو لا يستحسن بالاطلاق إلا إذا أدى وظيفة جمالية، كما نرى فى سورة الرحمن القرآنية مثلا فى تكرار قوله تعالى : " فبأى آلاء ربكما تكذبان "[1] . فبالإضافة لما رآينا آنفا نرى ذلك في قصيدة (كن صديقي )[2]

**كن صديقي ،**

**كن صديقي**

**فأنا محتاجة جداً لميناء سلام**

**وأنا متعبة من قصص العشق ، وأخبار الغرام**

**وأنا متعبة من ذلك العصر الذي**

**يعتبر المرأة تمثال رخام ..**

والأمر نفسه أى تكرار الكلمات أو العبارات يطالعنا في قصيدة (حلم)[3] من ديوانها ( فى البدء كانت الانثى ) حيث تقول :

**حلمت ليلة أمس**

**بأنني أصبحت سمكة**

---

1– سورة الرحمن، الآية 12.

2– ديوان في البدء كانت الأنثى : سعاد الصباح ،ص90.

3– ديوان في البدء كانت الأنثى : سعاد الصباح ،ص127.

**تسبح في مياه عينيك الصافيتينْ**

**خفت أن أقصّ عليك الحلمْ**

**حتى لا تُغلق أهداب عينيك عليَّ**

**وتخنقني ..**

فهى لا تزال تكرر في بداية كل مقطع عبارة ( حلمت ليلة أمس) وكأنها تستحضر ذلك الحلم مستلهمة سورة الرحمن ، وفى ديوان ثالث نلحظ الأمر نفسه أى تكرار الألفاظ فتقول في قصيدة رقم (4) من مجموعة (قصيدة حب ) [1].

**هل أنا حبيبتك ؟**

**أم أنا أمك ؟**

**هل أنا مليكتك ؟**

**أم أنا مملوكتك ؟**

**هل أنا أنا ؟**

**أم أنا أنت ؟**

فالظاهرة كما نرى تتكرر فى قصائد متنوعة بثلاثة دواوين مختلفة بما يؤكد تأصل الظاهرة لديها وهو أمر كما قلنا يتناسب تماما وطبيعة الأنثى فضلا عن أنه يلائم السياق ويضيف إلى المعنى طاقات تعبيرية لا تنكر .

وهناك صورة ثالثة من صور العدول بالزيادة نلحظه لدى سعاد الصباح ، وهو تكرار المعنى والإلحاح عليه ، وليس فقط تكرار اللفظ فمعنى الاعتذار عن الزمن الذى ضاع من الشاعرة قبل أن يتعرف حب فارس أحلامها ويدخل حياتها هذا المعنى تكرر فى القصيدة بأكثر من صورة كما نلحظ فحين يتملكنا الفضول عن موضوع هذا الاعتذار البليغ الصادر من أعماق القلب برغم ما نعرف من إخلاصها لزوجها وتفانيها فيه حبا وهياما نجد الشاعرة تفسره بأنه اعتذار عن الزمن الذى لم تكن فيها أحبت حبيبها بعد– وهو زوجها الذى قالت فيه أجمل قصائدها- وهى تكرر المعنى نفسه تقريبا فى المقطع التالى فنراها تعتذر كذلك عن الزمن الذى ضاع دون أن تخبئ الحبيب بين أجفانها وتسقيه حليب حنانها وهو تقريبا مضمون المقطع الأول

---

[1]–ديوان قصائد حب : سعاد الصباح ، إصدار دار سعاد الصباح **1992**م.

وإن عبرت عن الزمن بألفاظ مختلفة بالفصول الأربعة وثوانى الزمن بل يتكرر ذلك فى المقاطع التالية حيث تكرر التعبير عن الزمن بكلمات ومرادفات أخرى ثم عن الحب الذى لم يكن كما أرادت أو حين أرادت له أن يكون بمعادلات لفظية أخرى كما نرى فى سطورها الآتية [1]:

**أعتذِرُ لكَ يا سيّدي . .**

**أعتذِرُ لكَ عن طفولتي ,**

**التي مرّت بلا لونٍ .. ولا طعمٍ ... ولا رائحة ...**

**فلا قرأتُ خطوط يديكَ جيّداً**

**و لا استوعبتُ رائحة شجاعتِكَ جيّداً**

**أعتَذرُ ... عن أيّامي التي لم تكُن أيّاماً ,**

**و تاريخي . . الذي لم يكُن تاريخاً . . .**

**و حدائقي . . التي كانتْ لا تُزهِر . . .**

**و سمائـي . . التي كانت لا تُمطِر . . .**

فنحن هنا إذن بإزاء لون آخر من ألوان العدول بالزيادة الذى ينصب على تكرار المعنى نفسه بما يشى بغلبة ذلك الشعور على نفس الشاعر وتأصله ، وهو مما يحسن أكثر الاحيان ويستحسنه الناس والشعراء .

**رابعا: العدول بنقص القاعدة النحوية**

نعنـــي بالانزيـــاح فـــي البنـــاء النحـــوي أو نقـــص القاعـــدة النحويـــة ، التحـــول أو الانكســـار فـــي نســـق المكونـــات النحويـــة للتعبيـــر ، ويمكـــن القـــول إن صـــورالانزياح فـــي هـــذا المجـــال عنـــد إعـــادة عنصـــر مـــن عناصـــر البنـــاء النحـــوي علـــى نمـــط مخـــالف لمـــا ورد بـــه أولا فـــي التعبيـــر أو الســـياق، بحيـــث يكـــون المعنـــى الـــذي يؤديـــه التعبيـــر مـــع هـــذه المخالفـــة هـــو لـــو تغاضـــينا عـــن خصوصـــيتها فـــي أدائـــه مـــا يتـــأدى بـــدونها ـــ مـــن ذلـــك مـــثلا بنـــاء الفعـــل للمفعـــول بعـــد بنائـــه للفاعـــل أو العكـــس، أو يـــراد بـــه تـــارة لازمـــا وأخـــرى متعـــديا أو التحـــول فـــي بنـــاء الجملـــة عـــن نمـــط

[1] المرجع السابق

الفعليــة إلــى نمــط الاســمية أو العكــس ومــا إلــى ذلــك مــن تحــولات تفــاجئ المتلقــي وتثير تأمله بحثًا عن مثيراتها السياقية وظلالها الدلالية الخاصة "[1].

ويعـد هـذا النـوع مـن العـدول ظـاهرة مهمـة فـي شـعر سـعاد الصـباح فـإن " الشـاعر عامـة لا يفكـر فـي اللغـة أو النحـو وهـو يعبـر عـن تجربتـه الشـعرية ، إلا أن مـا يقولـه فعـلا لا يخـرج عـن الإطـار الـذي رسـمته القواعـد إلا فـي حـالات قليلـة وجـدت البلاغـة لهـا مسـوغات فـي سـبيل إيجـاد لغـة ذات طبيعـة تواصـلية ، بوسـعها التـأثير فـي السـمع ملبيـة لديـه حاجـات فنيـة وجماليـة ، غيـر أن ماتتيحـه البلاغـة لمنشـىء القـول الأدبـي لا يصـل فـي كـل حالاتـه إلـى درجـة تحطـيم القواعـد المسـتقرة للغـة ، وإنمـا تتـيح مـا يتضـمن للظـاهرة الأدبيـة النمـو فـي حـدود مـا تجيـزه القواعـد أصـلا ، وهـي الحـال التـي لا تتعـدى اسـتخدام بعـض الكلمـات بعيـدًا عـن دلالاتهـا المألوفـة كمـا هـو الشـأن فـي المجـاز أو التصـرف فـي ترتيـب الكلمـة بصـورة تخـالف النسـق كمـا هـو الحـال فـي التقـديم والتـأخير ، أو التركيـز علـى الصـيغ المتقابلـة التـي مـن شـأنها كسـر تسلسـل الكـلام ، ومنعـه مـن الجريـان علـى وتيـرة واحـدة كمـا هـو الحـال التـي تبـدو فـي اسـتعمال التضـاد " [2].

ومـن شـأن هـذه الوسـائل جميعًـا التحـول علـى الصـعيد الأسـلوبي إلـى منبهـات تثيـر المتلقـي ، وتخلـق لديـه قـدرة علـى تمثـل القـيم الفنيـة التـي ينطـوي عليها الأثر الأدبي .

تقول في قصيدة (الثلج في مجيف ) في المجموعة "2" [3].

**الثلجُ في " مِجيفْ "**

**أسودُ ... أسوَدْ**

**و المتزحلقونَ على الجليد**

**يتزحلقون على أسلاكِ أعصابي .**

---

1– أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : حسن طبل ، ص146.

2– الأنحراف الأسلوبي ( العدول ) في شعر أبي مسلم البهلاني ( 1860م ـ 1920م) : د. أحمد علي محمد ، مجلة جامعة دمشق مج 19، العدد (3-4)،2003م. صـ 68،69.

3– ديوان خذني إلى حدود الشمس ، سعاد الصباح ، ص6.

**" مِجيفُ " ترفضُ أن تستقبلَني**

**و ترفِض أن تكلّمني . . .**

**و ترفض أن تعترف بشرعيّتي**

**إلا و أنا متعلّقة بذراعك اليسرى . . .**

**فهَل يمكن أن تَرُدّ إليّ اعتباري ؟**

**في هذه القرية الفرنسيّة الجميلة**

**التي اختارتكَ رئيساً لبلديتها ؟ . . .**

فالثلج لا يوصف أبدا بالسواد فمن شأنه أنه أبيض دوما، ولكنه التصرف على غير مقتضى ما تقتضيه القاعدة النحوية أو الدلالية بما يثير ذهن القارئ إزاء هذه الصورة الغريبة ، وتبدو هنا كلمة (يتزحلقون) أقرب إلى العامية منها للعربية والأفصح المستخدم هو التزلج، ولكن الكاتبة تؤثر فى أكثر الأحيان أن تجعل لغتها قريبة من لغة المثقف العربى، ولعلها تصورت أن ذلك أدعى لتحقيق التواصل بينها وبين المتلقى غير أنها نظرية حاطئة بوجه عام والحفاظ على مستوى اللغة الراقى لم يكن يوما عقبة فى سبيل استيعاب المثقف المستهدف

وظاهرة التلاعب بالمعنى ، وتحميله مضامين جديدة معبرة هو من المهارات اللغوية التى بدا أن للشاعرة بها ولعا ، وتبدو متقنة لها عن وعى فهى فى السطور التالية تجعل للصوت لونا ورائحة وهو من المعانى العميقة لدى الشاعرة التى تشير إلى عمق العلاقة التى ربطتها بزوجها الراحل ، تقول في المجموعة (4) ، من قصيدة " الثلج فى مجيف "([1]).

**شَوارعُ " مِجيفْ " مضرّجةٌ برائحةِ صوتِكْ**

**و كراسي المقاهي . . محجوزةٌ على اسمكْ . .**

**و جُبْن منطقة " السافوا " . . لا طعمَ لهُ بعدَك . .**

**و آثارُ أقدامِكَ على الثلج . .**

---

[1]– ديوان خذني إلى حدود الشمس ، سعاد الصباح ، ص7.

**محفورةٌ على جدرانِ الذاكرة . .**

**فأعِدْ إليّ يا سيّدي . .**

**خرَائط المدينـه . . .**

فالشوارع مضرجة برائحة الصوت ، وللاقدام آثار على الثلج لكنها فى حقيقة الأمر محفورة بجدران ذاكرتها ، والحبيب هو من يملك خرائط المدينة فلا معنى لأى شئ دون وجوده بجانبها وهى جميعا من قبيل المعانى التى تحمل دلالات انزاحية لا تخفى دلالتها فى المبحث الذي بين أيدينا.

## الفصل الثانى

## العدول الصرفي فى شعر سعاد الصباح

### المبحث الأول: مفهوم العدول الصرفى:

العدول الصرفي عبارة عن مركب إضافي، ولا يمكننا أن نتوصل إلى معناه إلا عن طريق تحليل أجزائه المركب منها، وهي (العدول) و (الصرفي) ، فنقف مع الكلمتين من الناحية اللغوية أولا ثم نعرض لهما مركبين اصطلاحا :

- ✓ **العدول الصرفي اصطلاحا :**

أما العدول في اصطلاح علماء اللغة فإنما يعنون به الخروج عن القاعدة المطردة، يسمون ذلك حينا بالشذوذ وتارة بالعدول عن الأصل "فجعل أهل العربية ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردًا، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا"[1] والعدول إما أن يكون عن أصل الوضع اللغوي أو بالمخالفة للقاعدة التي خلص إليها اللغويون من خلال الاستقراء والقياس فـ"الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة "كما يقول الدكتور تمام حسان [2]

ولأن علم الصرف لم يستقل بالبحث إلا عند المتأخرين فلم نجد له تعريفا عند قدماء اللغويين فالنحو عند النحاة المتقدمين يشمل النحو والصرف معا على أية حال فقد استقر الاصطلاح على أن علم الصرف "علم يعرف به صياغة الأبنية وأحوالها وما يعرض لها مما ليس بإعراب ولا بناء "[3]

ويأتي ابن الأثير ليتكلم بدقة عن العدول في المستوى الصرفي وعلاقته بالأغراض البلاغية قائلا :" العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على

---

[1]الخصائص (1/ 98)أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة

[2]البيان في روائع القرآن تمام حسان ج2 صـ77 مكتبة الأسرة 2003 القاهرة.

[3]ينظر الشافية في علمي التصريف والخط (ص: 59)عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمر وجمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: 646هـ)المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر الناشر: مكتبة الآداب–القاهرة الطبعة: الأولى، 2010 م والمغني في تصريف الافعال د . محمد عبد الخالق عضيمة ط/ دار الحديث القاهرة ص 34

أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهما وأغمضها طريقا "[1]

وفي ضوء ما تقدم من تعريفات لغوية واصطلاحية نستطيع وضع إطار محدد للمصطلح والدراسة معا فنقول وبالله التوفيق أن العدول الصرفي هو خروج عن القاعدة اللغوية في مستواها الصرفي (بنية الكلمة ) لغرض دلالي . فالمتكلم يعدل عن أصل البنية بإجراء تصريفي ويحول صيغة اللفظ لصيغة أخرى من أجل معان إضافية لا تستطيع الصيغة المعدول عنها الوفاء بها .

وما يعنينا في هذه الدراسة هو رصد الأبنية التي حدث فيها عدول عن الأصل من خلال المنجز الشعري للشاعرة سعاد الصباح باحثين عن الهدف الدلالي من وراء تركها لصيغة قياسية واستعمالها لصيغة أخرى .

## المبحث الثاني : العدول الصرفي في الدرس اللساني، قديمه وحديثه

### العدول الصرفي في الدرس اللساني القديم

إن الجذور الأولى للتعرف على ظاهرة العدول الصرفي ليست وليدة العصر الحديث , أو المدرسة الغربية , بل هي ممتدة في تراثنا العربي القديم دون خفاء , أو قصور في التناول , وقد حظيت بعناية اللغويين والبلاغيين والأدباء كل حسب مشربه فلدينا معطيات لظاهرة العدول الصرفي في تراثنا العربي, وخاصة في الجانب التطبيقي. وإن جاءت موزعة بين كتب اللغة والتفسير والمعاجم والأدب .

بداية نجد أراء متناثرة وإشارت خاطفة إلى وجود عدول في بعض أبنية الألفاظ العربيةفقد اعترف اللغويون العرب بإمكانية العدول عن القاعدة حينما تلمسوا مبررا للخروج عليها من قبل الشعراء فيما يعرف بالضرورة الشعريةفالشعرالجاهلي الذي كان عماد التقعيد والاستشهاد لدى النحاة لم يخلو من هذه الضرورات وهو في أعلى درجات الفصاحة عندهم مع ذلك ،لكن الشعر عمل إبداعي في المقام الأول وليس كلغة التواصل العادية من ثم يلجأ الشاعر أحيانا لتغيير بعض أبنية الكلمات لتؤدي دلالة معينة أو يحدث انسجاما صوتيا ما يتوافق مع الوزن والقافية قال الخليل بن أحمد: (170هـ)"الشعراء أمراء الكلام، يصرّفونه أنّى شاءوا؛

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 12) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الجزري، أبوالفتح، ضياءالدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)المحقق: محمد محي الدين عبدالحميد الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر–بيروت عام النشر:1420 هـ

وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم: من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومدّ مقصوره، وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته" 1لقد عرف الدكتور محمد حماسة عبداللطيف الضرورة الشعرية بقوله "هي الخروج على القاعدة النحوية والصرفية في الشعر خاصة لإقامة الوزن وتسوية القافية "2

ويعد إمام العربية سيبويه (180هـ) من أقدم الذين استعملوا لفظ العدول وعقد له بابا مستقلا في كتابه وإن كان مقصده العدل الذي يمنع الاسم من الصرف ومثل له قائلا :" باب ما جاء معدولا عن حده من المؤنث كما جاء المذكر معدولا عن حده نحو: فسق، ولكع، وعمر، وزفر ...

فقلتُ لها عِيثِي جَعارِ وجرِّري ... بلحم امرىء لم يَشْهَدِ اليومَ ناصِرُهُ.

وإنَّما هو اسم للجاعرة، وإنَّما يريد بذلك الضَّبع. ويقال لها: فثام، لأنَّها تقثم أي تقطع. وقال الشاعر:

لِحَقَتْ حَلاقِ بهمْ على أكْسائهمْ ... ضَرْبَ الرِّقاب ولا يهمُّ المغنم

فحلاق معدول عن الحالقة، وإنَّما يريد بذلك المنية لأنها تحلق. وقال الشاعر، مهلهلٌ:

ما أرجّى بالعيش بعد ندامى ... قد أراهم سقوا بكأس حَلاقِ

فهذا كله معدولٌ عن وجهه وأصله، فجعلوا آخره كآخر ما كان للفعل، لأنَّه معدول عن أصله، كما عدل: نظار وحذار وأشباههما عن حدهن، وكلهن مؤنث، فجعلوا بابهنَّ واحدا."3

هكذا نرى سيبويه رحمه الله لم يقتصر على ذكر العدول من صيغة لأخرى وحسب إنما علل دلاليا لأسباب هذا العدول ومسوغاته فنراه يقول:" وإنَّما هو اسم للجاعرة، وإنَّما يريد بذلك الضَّبع. ويقال لها: قثام، لأنَّها تقثم أي تقطع. ... فحلاق معدول عن الحالقة، وإنَّما يريد بذلك المنية لأنها تحلق. "

---

[1]زهر الآداب وثمر الألباب (3/ 687) إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري،أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: 453هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت

[2]لغة الشعر دراسة في لغة الشعر د محمد حماسة عبداللطيف دار الشروق القاهرة ط 1 1416هـ 1996م ص 10

[3]الكتابلسيبويه (3/ 274)عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبوبشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ) المحقق: عبدالسلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، 1408 هـ – 1988 م

وعبر بعض المصنفين القدامى عن العدول بلفظ الغرابة والمجاز فمن الغرابة عندأبي عبيدة معمر بن المثنى (209هـ) العدول عن النمط اللغوي المعتاد في النوع أو العددوقد جرى القرآن الكريم على سنة العرب في عدم المطابقة هذه "ففى القرآن ما فى الكلام العربىّ من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كفّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع فى موضع الواحد إذا أشرك بينه وبين آخر مفرد، ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للواحد أو للجميع وكفّ عن خبر الآخر، ومجازما خبّر عن اثنين أو أكثر من ذلك، فجعل الخبر للأول منهما، ومجاز ما خبّر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للآخر منهما، ..... وكل هذا جائز قد تكلموا به."[1]

وتراث القرن الثالث الهجري كما نرى كسابقه،في تناول ظاهرة العدول ضمن اهتمامات لغوية أخرى،مع تقدم ملحوظ يتمثل في عد قضية العدول سنة من سنن العرب في كلامها فمن لغوي هذا العصر ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (244هـ) نقل لنا السيوطي قوله :" ومن سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفْظِ الماضي وهو حاضر أو مستقبل أو بلفظ المستقبل وهو ماض نحو قوله تعالى: {أتى أمرُ الله} أي يأتي. {كنتُم خيرَ أُمَّة} أي أنتم. واتَّبعوا ما تَتْلو الشياطينُ أي ما تَلَت. وأن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعلنحو سرٌّ كاتم أي مكتوم. وماء دافق أي مَدفوق.....وبالفاعل بلفظ المفعولنحو عيش مغبون أي غابنذكره ابن السِّكيت. "[2]

ونعى الجاحظ (255هـ)في البيان والتبيين عدول عامة الناس عن اللفظ الأولى بالاستخدام والأفصح في البيان إلى ما هو أقل منه بيانا وفصاحة واستعمال بعض الأبنية والصيغ وغيرها أولى بالاستعمال قال: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا

[1] مجازالقرآن (1/ 19) أبوعبيدة معمر بن المثنى البصري (المتوفى: 209هـ) المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة الطبعة: 1381 هـ

[2] المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1/ 265)عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: فؤادعلي منصور الناشر: دارالكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م

يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث.."1 سبحان الله إنها أرزاق ! وإلا لماذا لم يفطن جمهرة الناس أو العامة كما يسميهم الجاحظ للعدول القرآني عن صيغ الجمع في الأرض والسمع "ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال....والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر.وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه. ألا ترى العامة أن ابن القرية عندها أشهر في الخطابة من سحبان وائل. .."2

ولعل السر في عدول الناس وانصرافهم عن هذه الصيغ البليغة المؤثرة أنهم يقصدون مجرد التواصل بينهم وتحقيق غرض الإفهام فقط من ثم يؤثرون المباشرة والتزام القواعد الصريحة ويغضون الطرف عن الأساليب العدولية المشوقة والمثيرة والزاخرة بالإيحاءات كي لا يقعوا في لبس ما بسبب هذه اللغة الأدبية الرصينة وهم في غنى عنه .

لكن لماذا هذا العدول عن بعض الصيغ إلى صيغ أخرى؟ ما السر الدلالي وراء هذا العدول؟

لم يشر إلى ذلك ابن السكيت أو الجاحظ ، وكانت أمثلتهما مقتضبة دون شرح ، إنها ومضات وإشارات لم يتّمها أو يلتقطها أحد من عصره .حتى جاء الرماني (384هـ) من علماء القرن الرابع الهجري فرزقه الله فهما أرحب، وأفاض شيئا ما حول العدول الصرفي تحديدا وأسراره الدلالية يقول :" المبالغة هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة. والمبالغة على وجوه منها المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة , وذلك على أبنية كثيرة منها: فعلان ، ومنها فعال ، وفعول ، ومفعل ، ومفعال. ففعلان كرحمان عدل عن راحم للمبالغة ، ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل لأنه يدل على معنى لا يكون له ، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء، ومن ذلك فعال كقوله عز وجل: {وإني لغفار لمن تاب} معدول عن غافر للمبالغة ، وكذلك توَّاب ، وعلام ، ومنه فعول كغفور وشكور ، وودود ، ومنه فعيل كقدير ، ورحيم ، وعليم، ومنه مفعل كمدعس ، ومطعن ، ومفعال كمنحار ،

[1]البيان والتبيين (1/ 41)المؤلف: عمرو بن بحر بن محب وبالكنانيب الولاء،الليثي،أبوعثمان،الشهيربالجاحظ (المتوفى: 255هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال،بيروت عام النشر: 1423 هـ

[2]السابق ج1ص41

ومطعام."1 إن حديث الرماني هنا في صلب العدول الصرفي لم يمزجه بالعدول النحوي أو الدلالي أو البلاغي كما فعل آخرون لكنه لم يستوعب كل الأبنية العربية أو على الأقل قدّم نماذج لكل باب من الأبواب الصرفية حسبه أنه وضع أساسا يبني عليه غيره

وهاهو فقيه العربية أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ)يخطو بنا خطوات أوسع فيعد هذا العدول بوسائله المختلفة من الحذف والزيادة والتقديم والتأخير ...إلخ أحد سمات شجاعة العربية ، ويا له من تعبير شديد الإيحاء والدلالة على ما نحن بصدده كما وكيفا، فمن ناحية الكم يفرد أبوابا مستقلة في صلب الظاهرة كالتالي :

1-**"باب في شجاعة العربية"2**

2-**" باب في نقض العادة**: المعتاد المألوف في اللغة أنه إذا كان فعل غير متعدٍّ كان أفعل متعديًا؛ ....غير أن ضربًا من اللغة جاءت فيه هذه القضية معكوسة مخالفة، فنجد فعل فيها متعديًا، وأفعل غير متعد."3.

3-**فصل في الحَمْل على المعنى**:اعلم أن هذا الشَرْج غور من العربية بعيد, ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكر, وتذكير المؤنيث, وتصوير معنى الواحد في الجماعة, والجماعة في الواحد, وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلًا كان ذلك اللفظ أو فرعًا, "4

ومن زاوية الكيف تناول موضوع العدول مؤسسا لهذه المظاهر (الحذف – الزيادة -التقديم -التأخير - الحمل على المعنى -التحريف) عبر مستويات اللغة النحوية والدلالية والصرفية و الصوتية يقول :" اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف. الحذف: قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة, وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه, وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته."5

---

1 النكت في إعجازالقرآن (ص: 104)النكت في إعجازالقرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجازالقرآن [سلسلة: ذخائرالعرب (16)]المؤلف: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله،أبوالحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: 384هـ)المحقق: محمد خلف الله،د. محمد زغلول سلام الناشر: دارالمعارف بمصر الطبعة: الثالثة، 1976م

2 الخصائص (2/ 362) أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)

3 الخصائص (2/ 217)

4 الخصائص (2/ 413)

5 الخصائص (2/ 362)

"ومع اعترافنا بأن اللغة نظام بالغ الدقة يضبط عناصرها، ويحدد علاقاتها فيما بينها، إلا أنه يجدر بنا التفريق بين هذا النظام واستنباط النحاة له وصياغته في شكل قواعد ومبادئ، قد يصيبها التعسف وتفتقد المرونة أحيانا، إن من الشجاعة الأسلوبية تحديد هذه الأطر والقواعد المطردة الذي قننها النحاة في حدود ضيقة،"[1]لأنه قد تتعارض غاية صرفيه (دلالة بنية قياسية ) مع غرض أسلوبي (دلالة بلاغية صوتية )، ومن أولى بالتقديم والرعاية حينئذ ؟ لا يتردد الشاعر أو الناثر ويؤثر دلالته الأدبية للوصول لغايته الأسلوبية البلاغية. ويعدل عن الصيغة الصرفية القياسية لأخرى قد تكون أقل قياسا. وهنا مكمن الحسن "وذلك أنك في المبالغة لا بد أن تترك موضعًا إلى موضع؛ إما لفظًا إلى لفظ، وإما جنسًا إلى جنس، فاللفظ كقولك: عراض، فهذا قد تركت فيه لفظ عريض. فعراض إذًا أبلغ من عريض. وكذلك رجل حسان ووضاء؛ فهو أبلغ من قولك: حسن، ووضئ، وكرام أبلغ من كريم؛ لأن كريمًا على كرم وهو الباب وكرام خارج عنه. فهذا أشد مبالغة من كريم. قال الأصمعي: الشيء إذا فاق في جنسه قيل له: خارجي. وتفسير هذا ما نحن بسبيله، وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أخرج أيضًا عن معهود لفظه. ولذلك أيضًا إذا أريد بالفعل المبالغة في معناه، أخرج عن معتاد حاله من التصرف فمنعه. وذلك نعم وبئس وفعل التعجب. ويشهد لقول الأصمعي بيت طفيل:

وعارضتها رهوا على متتابعٍ ... شديد القصيرى خارجي محنب"[2]

أما أبو هلال العسكري (395هـ) فيؤسس لما يمكن أن نسميه قاعدة عدولية فكلما كان العدول عن الصيغة أشد كانت الدلالة أبلغ "وَعِنْدنَا أَن الرَّحِيم مُبَالغَة لعدوله وَأَن الرَّحْمَن أَشد مبالغة فَكلما كَانَ أَشد عُدُولًا كَانَ أَشد مُبَالغَة"[3]

يوضح كنه هذه المبالغة أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (403هـ) فيقول : "وأما المبالغة "، فهي: الدلالة على كثرة المعنى. وذلك على وجوه: منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك، كقولك: " رحمن " عدل عن راحم "[4]

---

[1]بحث بعنوان "حذف حرف العلة من المضارع المرفوع في القراءات القرآنية دراسة تحليلية"د /ربيع محمد محمد حفني مجلة جامعة المدينة العالمية مجمع العدد الثاني عشر ص529

[2]الخصائص (3/ 48)

[3]الفروق اللغوية للعسكري (ص: 196)

[4]إعجازالقرآن للباقلاني (ص: 273) أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: 403هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، 1997م

إن الموروث البلاغي العربي قامت مباحثه في علم المعاني والبيان "على العدول عن النمط المثالي المألوف في صياغة الكلام عند علماء اللغة للكشف عن العناصر الفنية للتركيب وجمالية تتصل بالمعنى فبحثوا: التقديم والتأخير والحذف والزيادة والتعريف والتنكير والوصل والفصل والالتفات وغير ذلك "[1]فعلى سبيل المثال الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) يذكر لنا في دلائل الإعجاز "أنَّ الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين: قسمٌ تُعزى المزيةُ والحسْنُ فيه إلى اللفظِ وقسمٌ يعزى ذلك فيه إلى النظم القسم الأول: "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل على حد الاستعارة" وكلُّ ما كان فيه، على الجملةِ، مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر، فما مِنْ ضَرْبٍ من هذه الضُّروب إلاَّ وهو إذا وقَعَ على الصواب وعلى ما يَنْبغي، أوْجَبَ الفضْلَ والمزيَّةَ. فإذا قلتَ: "هو كثيرُ رمادِ القدْر"، كان له موقِعٌ وحظٌّ من القَبول لا يكون إذا قلتَ: "هو كثيرُ القِرى والضِّيافة".[2] لكن اهتمام الإمام عبدالقاهر الجرجاني كان منصبا في المقام الأول على العدول في الناحية التركيبية من خلال نظريته الفذة النظم فلم يولي العدول الصرفي كبير اهتمام لأن مدارَ الأمرِ عنده " "النظْم" على مَعاني النحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأنها أنْ تكونَ فيه، فاعلمْ أنَّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها، ونهاية لا تجد لهال ازدياداً بَعْدها ثم اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق، ولكنْ تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ، ثم بحَسَبِ موقع بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ."[3]

ومن المفسرين البلاغيين الذين ذكروا قضية العدول عن بعض الأبنية إلى بعض الزمخشري (المتوفى: 538هـ) وقد ربط بين التكنية والعدول فكلاهما يشتمل على عدم المباشرة والتصريح وهذا لعمري ما يميز عملا أدبيا رفيعا غير مباشر عن عمل آخر يحمل أفكاره للمستمعين عبر خطاب مباشر صريح يقول الزمخشري:" في (ربيع الأبرار) قالوا: لم تكن الكُنَى لشيءٍ من الأمم إلا للعرب وهي من مفاخرها والكُنية إعظام وما كان يُؤْهَل لها إلا ذو الشرف من قومهم قالمن البسيط :

(أكْنيه حين أُناديه لأكْرِمَه ... ولا ألقبه والسوءة اللّقب)

---

[1]بحث في شبكة الإنترنت http://www.startimes.com/?t=26811176

[2] دلائل الإعجاز في علم المعاني (1/ 429) المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م

[3]دلائل الإعجاز تشاكر (1/ 87)

والذي دعاهم إلى التكنية الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ونظيرهُ العدولُ عن فعلٍ إلى فعل في نحو قوله: {وغِيضَ الماءُ وقُضِيِ الأمر} .ومعنى كَنَيْتُه بكذا: سمَّيتُه به على قصْد الإخفاء والتورية ثم ترقَّوْا عن الكُنَى إلى الألقاب الحسنة فقلَّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام مَنْ ليس له لقب إلا أن ذلك ليس خاصا بالعرب فلم تزل الألقابُ في الأمم كلّها من العرب والعجم."[1]

وما أن وصلنا للقرن السابع الهجري حتى وجدنا ابن الأثير (المتوفى: 637هـ) يكشف اللثام عن أسباب العدول الصرفي وخصوصيته داعيا أرباب الفصاحة للبحث عن أسرار العدول عن الأبنية الصرفية فيقول :"اعلم أيها المتوشّح لمعرفة علم البيان، أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهما، وأغمضها طريقا [2]"ثم يحذو لنا نهجا رائعا في باب الأبنية الدالة على الزمن وما يقتضيه العدول فيها من دلالات وذلك في :".القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي، فالأول الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي: اعلم أن. الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي، وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه جعلا بمكانه، فإنه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماض بجار هذا المجرى."[3]

من هذه الإطلالة على الجذور التراثية لظاهرة العدول الصرفي نستخلص عدة نتائج :

**أولا :**حاز اللغويون العرب القدامى قصب السبق حين فطنوا إلى فكرةالعدول الصرفي , تجلى ذلك في مصنفاتهم التي مهدت للتأليف المستقل للظاهرة في اللسانيات الحديثة .

**ثانيا :**بالرغم من غياب المصطلح حينا ووجوده مع مصطلحات أخرى حينا آخر إلا أننا نجد حقيقته ماثلة وجلية دون لبس سواء في إطار التنظير أو التطبيق على النصوص الأدبية .

---

[1] المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1/ 273)

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تمحيي الدين عبد الحميد (2/ 12) ابنالأثير (المتوفى: 637هـ)

[3] السابق (2/ 12)

**ثالثا:**قضية العدول الصرفي تم تناولها ضمن اهتمامات لغوية أخرى،أو على نحو مشتجر بضروب الثقافة المختلفة،من غير أن يحمل عنوانا مميزا له استقلاله، ومصنفاته فاللسانيات أو علوم الآلة ما هي إلا أدوات لاستخراج لآلئ علوم المقاصد .

**رابعا:** أسهم في بيان مظاهر العدول الصرفي وأسبابه وخصائصه لغويون ونحاة وبلاغيون ومفسرون وغيرهم من ثم اختلفت أسماء الظاهرة وكيفية التناول لقد علم كل فريق مشربه فيما أفاض فيه.

**خامسا :** تباينت مواقف العلماء القدامى من ظاهر العدول الصرفي بين التأويل والتلحين كما فعل كثير منالنحاة لتستقيم لهم القواعد والاعتراف بالعدول واستثماره كما صنع النقاد والأدباء واللغويون .

**سادسا :** إن العدول الصرفي في بعض الأبنية العربية ليس على درجة واحدة عند علمائنا القدماء فمنه :

1- ما هو مقبول داخل إطار النظام الصرفي العربي .
2- ومنه ما يوسم بالشذوذ أو الضرورة .
3- وبينهما صيغ وصفت بأنها لغات لهجات أقل .أو أضعف

**العدول الصرفي في الدرس اللساني الحديث**

من خلال هذا المبحث سنتعرف على رؤية اللسانين الغربيين والعرب المحدثين حول العدول الصرفي وبرغم تناولنا للعدول مفهوما فى مباحث سابقة إلا أنى آثرت أن أعيد النظر فى دراسات البلاغيين الأسلوبيين عند مناقشة كل مفهوم من المفاهيم المتعلقة بالعدول ليكون البحث أكثر استقلالا وتركيزا على مضمون ما نتاوله من مفاهيم، بحيث نقبل على مرحلة التطبيق على شعر الشاعرة بقناعة ووضوح، ولنبدأ باللسانيين الغربين لأن دراساتهم كانت في كثير من الأحيان منطلقا للسانين العرب ومرتكزا ،منها ترجموا وأسسوا واستلهموا، و قد أخذوا في التطبيق على بعض النصوص الأدبية من خلال نظرية الأسلوبية وغيرها .

- **أولا : العدول الصرفى عند اللسانين الغربيين :**

واجهتنا مشكلة تعدد المصطلح عند البحث عن مفهومه وجذوره في تراثنا العربي فالمشكلة نفسها تجدها لدى البحث لدى اللسانيين الغربيين وهو ما انعكس على الدراسات اللسانية العربية على نحو ما باعتبارها اعتمدت فكرة ترجمة المصطلح والتماهى حوله ، وقد وضع المسدى ثبتا

بما يقترب من خمسة عشر مصطلحا وأضاف إليها يوسف وغليسي في مقال بعنوان( مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي) إلى جهد المسدّي مصطلحات أخرى لم يذكرها المسدي،" وهي تصب في الحقل الدلالي نفسه، ومنها مصطلح( التشويه المتناسق ) الذي يقترحه (ميرلوبونتي)، ومصطلح المروق والضلال والاضطراب ( وهو مستعمل في سياقات قضائية وبصرية وبيولوجية) والذي أورده (غري ماس) في معجمه، ومصطلح (المجاز) الذي اصطنعه (تودوروف) وديكرو، في معجمهما الموسوعي"[1]

إن أرسطو فيلسوف الحضارة اليونانية الغربية قد ميز بين مستويين للكلام :

**أولهما :** السوقي التواصلي العادي المتماشي مع قواعد اللغة تماشيا تاما .

**ثانيهما :** سامٍ يخرق الاستعمال النمطي المعتاد لتلك القواعد .

يقول أرسطو:" اللغة التي « تنحو نحو الإغراب وتتفادى العبارة الشائعة » هي اللغة الأدبية ويقول :"وجودة العبارة في أن تكون واضحة غير مبتذلة فالعبارة المؤلفة من الأسماء الأصلية هي أوضح العبارات، ولكنها مبتذلة... أما العبارة السامية الخالية من السوقية فهي التي تستخدم ألفاظا غير مألوفة، وأعني بالألفاظ غير المألوفة، الغريب والمستعار والممدود وكل ما بعد عن الاستعمال ويقول :فبتحرير هذه الكلمات عن أوضاعها الأصلية والخروج عن الاستعمال العادي يجتنب السوقية"[2]

ونستطيع التمثيل لهذا المستوى الأدبي الراقي بقصيدة للشاعرة سعاد الصباح بعنوان ( حرائق على الثلج ) [3] :

**"أيُّها الرجلُ**

**الذي أخذ خرائط الثلج في جيبه**

**و تركني أتزلج على ثلج أحزاني .**

**أيهّا الرجلُ الذي شربّ كلّ قهوةِ فرنسا**

---

[1] مقال بعنوان الانزياح بين أحادية المفهوم وتعدد المصطلح بشبكة المعلومات الإنترنت https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/03-2012/214-2013-04-28-14-32-44.html

[2]الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية أحمد محمد ويس ص81

[3]ديوان خذني إلى حدود الشمس للشاعرة سعاد الصباح دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع الطبعة الأولى تشرين الثاني 1997

**وتركني أشربُ دموعي .**

**إنني هنا عاطلة عن الفَرَحْ . .**

**وعاطلة عن الحبّ . .**

**وعاطلة عن أنوثتي ."**

لقد خرقت الشاعرة سعاد الصباح في هذا المقطع من قصيدتها القواعد اللغوية حين انحرفت بالعبارة عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي وذلك بإضافتها الأحزان للثلج " و تركني أتزلج على ثلج أحزاني ." ويمتنع عقلا التزلج على ثلج الأحزان إن وجد وكذلك الدموع لا تشرب لكنها استعارات وكنايات عن حالة من الحزن العميق والألم الدفين والحيرة الشديدة التي انتابت الشاعرة ، واضحت مشاعرها القلبية نازفة وفقدت جراء ذلك كله أحاسيس الفرح والحب بل كل ما يرتبط بالأنوثة لديها .ترى هل كانت اللغة المعيارية قادرة على حمل هذه المعاني فضلا أن تثير لدى السامع أو القارئ أي نوع من الدهشة؟ قطعا لا .

لقد أضحت ظاهرة العدول عن الأصل بفضل الجهود التي بذلها اللسانيون الغربيون أكثر تحديدا وأقدر على تحليل النصوص الأدبية من ذي قبل . وإن كانوا لم يفردوا العدول الصرفي ببحث مستقل وجاء ضمن حديثهم عن الأسلوب بصفة عامة ، إذ كان جل اهتمامهم بالعدول في المستوى التركيبي والدلالي وعلاقته بالبلاغة حيث إنهم اعتبروا هذا العدول خصيصة من خصائص اللغة الأدبية والشعر بصفة خاصة فلم يلتفتوا كثيرا إلى لغة الأجناس الأدبية الأخرى فضلا عما قد يرد من عدول في لغة الحياة اليومية أحيانا فاعتقاد الباحثين الغربين "أن الانزياح خاص بلغة الشعر وهو اعتقاد لا يمكن التسليم به بشكل مطلق ذلك أن هناك انحرافات يمكن أن تظهر في لغة الأجناس الأدبية الأخرى..."[1]

- **ثانيا : العدول عند اللسانيين العرب**

من أكثر اللسانيين العرب اهتماما بظاهرة العدول عن الأصل د/ تمام حسان ونقف الآن مع أهم كتابين له تعرض فيهما للموضوع بشيء من التفصيل: الكتاب الأول البيان في روائع القرآن: ففي الجزء الأول منه تحدث المؤلف عن مفهوم الصحة والجمال في النص القرآني، والعدول عن الأصل بواسطة الزيادة، والحذف، والتضمين، والتغليب، والمجاز، والترخص في القواعد، والتوسع، وأخذ يستشهد لهذا الجانب الجمالي للأسلوب القرآني كما يسميه في المستوى الصوتي، والمعجمي ، والتركيبي ، والتناص ، والأسلوب، لكن ما يهمنا هو الجانب الصرفي

[1] الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية معجم العين نموذجا ص47

الذي يقول عنه : " ثمة جانب آخر هو الجانب الصرفي الذي يمكن الترخص فيه لأسباب أسلوبية من خلال الصيغ غير القياسية وغير المستعملة فمن ذلك مثلا قوله عز وجل :(أَجَعَلَ الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب ٥)[ص:5] فالصيغة القياسية هي عجيب ولكنها جاءت على صورة عجاب لأحد سببين أو لكليهما :

السبب الأول : رعاية الفاصلة ... ....والسبب الثاني :أن صيغة فعال من صيغ الأدواء مثل داء الصداع والزحار فلربما أراد القائلون الإيحاء بأن ما جاء به النبي ﷺ من الأمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء "[1]وازدادت الفكرة رسوخا ووضوحا عنده في الجزء الثاني، حيث أفرد الفصل الثالث من هذا الجزء للأسلوب العدولي في القرآن الكريم وأوضح الفرق بينه وبين الترخص. وتطغى على المولف الصبغة النحوية في معالجته لظاهرة العدول واقتصاره على أمثلة معدودة، دون استقصاء شامل لكل الشواهد القرآنية بل يكتفي بأمثلة معدودة[2]

وللدكتور تمام حسان كتاب آخر بعنوان:(الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو- فقه اللغة- البلاغة) ففي فصل الاستصحاب منه حديث مسهب عن الأصل أي أصل الوضع في الحرف والكلمة والجملة وأصل القاعدة ثم حديث العدول عن الأصل والرد إلى الأصل، ،ومع أن المؤلف يتبنى آراء جديدة في النحو العربي وهي تلك التي بثها في كتابه (اللغة العربية: معناها ومبناها)،فإنه في كتاب (الأصول) أراد أن يبين المفاهيم الأصيلة التي كان يتحرك من خلالها النحاة الرواد أمثال الخليل وسيبويه رحمهما الله تعالى في تحليل اللغة وتقعيدها.[3]

أما الدكتور عبدالسلام المسدي فتغلب عليه الصبغة الأسلوبية البلاغية في تناوله لقضية العدول عن الأصل فيقول أن "جل التيارات التي تعتمد الخطاب أساسا تعريفيا للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينهما، ويتمثل في مفهوم الانزياح lécart "[4] ومع اعترافه بذلك فإنه لا ينكر صعوبة تصور العدول يقول : " ولئن استقام له (أي للانزياح) أن يكون عنصرا في التفكير الأسلوبي، فلأنه يستمد دلالته لا من الخطاب الأصغر، كالنص والرسالة، وإنما يستمد تصوره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو

---

[1]البيان في روائع القرآن ج1 ص433

[2]ينظر البيان في روائع القرآن ج2 ص 77

[3]ينظر الأصول ص114

[4]الأسلوبية والأسلوب ص 97

اللغة التي فيها يسبك ولذلك تعذّر تصوره في ذاته إذ هو من المدلولات الثنائية المقتضية لنقائضها بالضرورة"[1].

ينطلق الدكتور محمد عبد المطلب في معالجته لقضية العدول من التراث العربي ساعة ثمّن جهود القدماء التي كشفت عن العوامل النفسية التي تكتنف عميلة التخاطب وتقف وراء العدول فيقول : إن" البلاغيين القدماء تفطنوا إلى أن العدول يتم من خلال عوامل نفسية تكتنف عميلة التخاطب : كتشويق السامع ،أو التفاؤل، أو التلذذ "[2] نلمح مثل هذه العوامل النفسية حاضرة وبقوة في أدب هذا العصر . خذ مثلا قصيدة ( السمفونيّـة الرّماديّة ) للشاعرة سعاد الصباح. التي تقول فيها :

**يا أحبابي :**

**لا هذا عصرُ الشِّعرِ , ولا عصرُ الشُعَراءْ**

**هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراء ؟**

**هل يَنبُتُ وردٌ من مِشنَقةٍ ؟**

**أم هل تَطلَعُ من أحداق الموتي**

**أزهارٌ حمراء ؟**

**هل تَطلَعُ من تاريخ القتْلِ قصيدةُ شعرٍ ؟**

**هل تخرُجُ من ذاكرةِ المَعدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ ؟ . ."[3]**

فهذه الأبيات من حيث التركيب النحوي سليمة لكن التساؤلات التي جاءت على لسان الشاعرة اخترقت المثالية اللغوية في المستوى الدلالي وراحت تنتهكها لأسباب نفسية عميقة لا تكاد تخفى على قارئ أو سامع .

ويوضح الدكتور محمد عبدالمطلب الفارق بين النحويين والبلاغيين بقوله "إذا كان النحاة واللغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي فإن البلاغيين ساروافي اتجاه آخر حيث أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثالية والعدول عنها في الأداء الفني .... فإذا كان النحوي يهتم بما يفيد أصل المعنى فإن البلاغي يبدأ منطقة حركته فيما يلي هذه الإفادة من

[1]السابق ص97

[2]البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب ص272

[3]ديوان خذني إلى حدود الشمس سعاد الصباح

عناصر جمالية "[1]وجاءت المقاربة التطبيقية لموضوع العدول عند الدكتور محمد عبدالمطلب من خلال عدة نقاط هي : ( التقديم والتأخير – الإيجاز والأطناب – الالتفات ).

وحين نتأمل إسهامات الدكتور صلاح فضل في قضية العدول نجده متحفظا شيئا ما على اعتبار علم الانحرافات هو علم الأسلوب يقول :" بالرغم من أن الباحث اليوم قد يتردد في موازنة الأسلوب بالانحراف واعتبار علمه هو علم الانحرافات إلا أنه من الواضح أننا لا نستطيع أن نقوم الحصافة اللغوية ولا المهارة الإبداعية لمؤلف ما إلا إذا وضعناه في إطار يشمل القاعدة العريضة للاستخدام اللغوي المعاصر له "[2] ثم يسير مع بعض الباحثين نحو تصنيف الانحرافات في خمسة نماذج أساسية طبقا للمعايير التي يعتد بها في تحديد الانحراف وهي :

1- درجة انتشارها في النص كظواهر محلية أو موضعية شاملة .

2- تصنيفالانحرافات طبقا لعلاقتها بنظام القواعد اللغوية .

3- تصنيف الانحرافات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المزمع تحليله .

4- تصنيف الانحرافات بالنظر إلى المستوى اللغوي الذي تعتمد عليه .

5- تصنيف الانحرافات طبقا لتأثيرها على مبادئ الاختيار والتركيب ."[3]

وهكذا جاءت رؤية اللسانين الغربيين والعرب المحدثين حول العدول تعتد به اعتدادا كبيرا وتوليه اهتماما منقطع النظير كأداة لتحليل النصوص الأدبية وتمييز ما بها من أوجه الإبداع ولذا كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأسلوبية والأسلوب وكانت " جسرا بين الأدب وعلم اللغة والنقد الأدبي والبلاغة."[4] واتضح كم هو البون واسعا بينهم في تحديد معايير العدول وكانت الشقة أبعد حول تحديد اسم واحد للعدول ورأينا من خلال العرض السابق أن اهتمام اللسانيين المحدثين كان منصبا حول العدول في المستوى البلاغي والتركيبي وغضوا الطرف كثيرا عن المستوى الصرفي ولم يتناولوا الصيغ النادرة الاستعمال أو الشاذة أو التي جاءت على خلاف الأصل ولو توقفوا معها لأفادوا بها كثيرا في وضع معايير واضحة للعدول ولظهرت جماليات النصوص الأدبية لهم جلية .

---

[1] البلاغةوالأسلوبيةمحمدعبدالمطلبص272

[2] الأسلوب صلاح فضل ص 208

[3] السابق 209

[4] مقال بشبكة الإنترنت بعنوان في العدول في النصّ القرآني في ضوء الدرس اللساني الحديث موقع : http://www.startimes.com/?t=26811176

وسنحاول ـ بمشيئة الله سبحانه وتعالى ـ الاستفادة من تلك المقررات اللسانية في الفصول التطبيقية القادمة . محاولين التعرف على أنواع العدول الصرفي ودلالاته عبر تحليل المنجز الشعري للمبدعة سعاد الصباح .

**المبحث الثالث : العدول عن الأصل عند الشاعرة سعاد الصباح**

ألفت الشاعرة سعاد الصباح الخروج على القاعدة اللغوية والميل دوما للأسلوب العدولي فلن نجافى الحقيقة إذا ما قلنا إن قصائد سعاد الصباحما هي إلا انحراف عن المعنى الحقيقي في الأغلب الأعم ولجوء للأسلوب العدولي بشكل منقطع النظير لجذب الانتباه وإثارة الدهشة وتضمين الكلمات إيحاءات أدبية ونفسية ثرية، لذا صار من العسير تتبع العدول عن الأصل في قصائدها كلها واستقصائها جميعا، وإلا فنحن بصدد سرد لكل دواوينها الشعرية فلنحاول إثبات هذه الحقيقة من خلال نماذج من قصائد شاعرتنا قدر المستطاع وسياتي تناولنا لهذه النماذج على النحو الآتي :

أولا: نص الأبيات التي بها عدول عن الأصل .

ثانيا :تحديد الأسلوب العدولي وإبراز طاقاته الجمالية .

ثالثا: تخيل لأبيات القصيدة بأسلوب نمطي معتاد .

رابعا :الاقتصار على العدول غير التقليدي لدراسته.

- النموذج الأول :من قصيدة الشعر والنثر لك وحدك:

**أحَاولُ أنْ أتَعَلَّقَ بعَرَبَةِ الفَرَح**

**فَيَضْرِبُنِي السَّائِقُ عَلَى أصَابعِي..**

**وَأحَاولُ أنْ أتَعَلَّقَ بحِبَالِ الكَلِمَاتِ..**

**فَتَفْلِتُ مِنْ يَدَيَّ..**

**وَأحَاولُ أنْ أسْتَعِيدَ زَمَنَكَ الجَمِيلَ،**

**المُطَرَّزَ بالشَّمْسِ وَالصَّحْوِ فَيُهَاجِمُنِي المَطَرُ..**

**وَتَضْرِبُنِي العَاصِفَةُ.**

**هَذِهِ كَلِمَاتُ القَلَقِ.. وَالتَّوَتُّرِ.. وَالزَّمَنِ الحَزِين..**

**فَأَرْجُو أنْ تُحِبَّ حُزْنِي.1**

تتجاوز الشاعرة قواعد اللغة ودلالاتها المعجمية المتعارف عليها بين أبنائها إلى دلالات إيحائية فتستعير للكلمات حبال وتجعل من الزمن الجميل شخصا قابلا للتحلي بالقلائد فإذا به يلبس عقدا مطرزا باستعارة أخرى ألا وهي الشمس وإذا بنا أمام استعارة ثالثة ورابعة مكونة من تجسيد العواصف والأمطار في أشخاص معادين يهاجمون الشاعرة التي تتشبث بذكريات الزمن الجميل فتنهار قوتها وهي تنشد من يحب حزنها هَذِهِ كَلِمَاتُ القَلَق.. وَالتَّوَتُّر.. وَالزَّمَن الحَزين..فَأَرْجُو أنْ تُحِبَّ حُزْنِي. وهيهات من يحب الحزن يا سيدتي :

وَلِي كَبِدٌ مَقرُوحَةٌ مَن يَبيعُني بها كَبِداً لَيسَت بِذاتِ قُروح

أَبَى النَّاسُ وَيحَ النَّاسِ ما يَشتَرُونَهَا وَمَن يَشتَرِى ذَا عِلَّةٍ بِصَحيحِ"2

ولنتصور هذه المعاني لو صيغت بالأسلوب التقليدي كان سيقال الكلمات تضيع من فمي وأحاول تذكر أيامك الجميلة فتغلبني الهموم والأحزان ترى أي دهشة يثيرها هذا التعبير وأي مسحة جمالية فيه وأي معان نفسية يطبع بها المتلقي لها؟ **!!**

- النموذج الثاني : من قصيدة الشِّعْرُ وَالنَّثْرُ.. لكَ وَحْدَكَ

**يَا مَرْفَئِيَ الَّذِي أظَلُّ بِانْتِظارهِ**

**أُعَلِّقُكَ، كَحَلَق الزُّمُرُّدِ، فِي أُذُنِي**

**وَأَدْخُلُ بِكَ شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَة**

**أُخَبِّئُكَ كَالثَّوْبِ الجَدِيدِ**

**فِي كِيسِ مُشْتَرَيَاتِي**

**أَلْبَسُكَ كَإِسْوَارَةِ الذَّهَبِ فِي مِعْصَمِي3**

تعبر الشاعرة في هذه الأبيات عن زوجها الحبيب بـ(المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب ) وهي استعارات وتشبيهات غير تقليدية متشبعة بروح العصر يتحول فيها الزوج الحبيب إلى شاطئ الأمان الذي طال انتظاره من مسافر غريب أو غريق يرجو النجاة وتتباهى

---

[1] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشعر والنثرلك وحدك موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

[2] الموسوعة الشعرية قصائد الشاعر ابن الدمينة

[3] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشعر والنثر لك وحدك موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

بحبها لزوجها غير عابئة بعرف أو تقليد قد يمنعها من التعبير عن مشاعرها ومرة ثانية تحول الزوج لحلق زمرد تتجمل به شاعرتنا في شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَة لكن ما تلبث أن تخشى على زوجها الحبيب غائلة الحسد أو يسرقه غيرها منها فتخبئه كالثوب الجديد في كِيسِ المُشْتَرَيَاتِ أو تمسك به في معصمها كأسورة الذهب لقد عدلت سعاد الصباح بهذه الكلمات (المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب ) عن أصل معناها الذي وضعت له واستعملته هذا الاستعمال الجديد .

- النموذج الثالث : من قصيدة حرائق على الثلج:

**والمتزحلقون على الجليد**

**يتزحلقون على أسلاك أعصابي .**

**"مجيف " ترفض أن تستقبلني**

**وترفض أن تكلمني . .**

**وترفض أن تعترف بشرعيتي**

**إلا وأنا متعلقة بذراعك اليسرى .**

**أيها الرجل**

**الذي أخذ خرائط الثلج في جيبه**

**وتركني أتزلج على ثلج أحزاني .**

**أيها الرجل الذي شرب كل قهوة فرنسا**

**وتركني أشرب دموعي .**

**إنني هنا عاطلـة عن الفرح**

**وعاطلة عن الحب ..**

**وعاطلة عن أنوثتي .**

**شوراع " مجيف" مضرجة برائحة صوتك**

**وآثار أقدامك على الثلج . .**

**محفورة على جدران الذاكرة . .**

السّاعة تَدقُ

وأجراس أحزاني تدُق معها

والثلج يحرقني بنارهْ . .

وأنت تمرُ في شراييني .

شرياناً ... شرياناً

شبْراً ... شبْراً

وأنا مدجّجة بالعشق حتى أسناني .

فيها أيّها المختبئ في أهدابِ غمامهْ

فلتهمرْ روعة أمطاركْ .

فأيّامي تتشققُ عَطشاً . .

في الرابعة

أشتعلُ فوق ثلج " مِجيفْ "

وأصرَخُ حتى ينغرسَ صوتي بصوتِكْ

وتنغرسَ جذوري في ترابكْ . .

وأصبحَ جزءاً من دورتكَ الدمويّة . .

هذه الذاكرةُ التي تحتلّها احتلالاً قسْريّاً

أيّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عرشِ ذاكرتي

لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟

والحرائقَ تحت مخدّتي ؟

أشربُ صبري مثلَ النّخْلِ

أهربُ من رائحةِ صوتِك

**وأني تزوّجتُ فصْلَ الشتاءِ1**

ربما بدا الاستشهاد فى هذا النموذج طويلا بعض الشئ ولكنه ضرورة إذ تروى الشاعرة فى السطور جميعا أبعاد تجربة شعورية متكاملة لم يحسن بنا تفكيكها . تشكو الشاعرة في هذه القصيدة من برودة المشاعر وافتقادها للدفء العاطفي ومعاناتها من القهر وتسلط المحبوب وفي سبيل بيان كل هذه المعاني ضمت الشاعرة سعاد الصباح في هذه القصيدة مع العدول عن المعاني المعيارية المعجمية للكلمات عبر الاستعارات والتشبيهات أسلوب المفارقة فنجدها في الأسلوب العدولي تجعل للأعصاب أسلاكا (والمتزحلقون على الجليد ...يتزحلقون على أسلاك أعصابي ) وتخلع على مدينة مجيف من صفات الإنسان الإرادة فـ(-"مجيف " ترفض أن تستقبلني ) لقد تحولت المدينة لشخص يرفض أو يقبل بل تصدم الشاعرة ولا تقبلها من دون محبوبها وهل أتاك قارئي العزيز نبأ امرأة شيدت من أحزانها ثلجا تتزلج عليه ؟( وتركني أتزلج على ثلج أحزاني ) إنها مرارة فقدان الحبيب الذي كان يشاركها هذه الرياضة فلا تحس ببرودة الجو والثلج المتساقط مع حرارة المشاعر العاطفية وأين تذهب منك شاعرتنا أيها المحبوب وأنت (محفور على جدران الذاكرة ) وليس للذاكرة جدران يحفر عليها لكنها استعارة لبيان قوة تذكر الشاعرة لهذه الأيام التي لا تمحى من مخيلتها ولنتصور هذه المبالغة فالمحبوب نفسه منقوش بل محفور علي جدران الذاكرة وتنتقل سعاد الصباح من الصور البصرية إلى النغم الصوتي فالموسيقي التصويرية لهذه المشاهد أجراس أحزان تدق كلما دقت عقارب الساعة( و أجراس أحزاني تدُق معها ) وتناشد الشاعرة محبوبها أن يروي ظمئها فقلبها صار كالأرض التي ضربها جفاف المشاعر فتشققت لذا تتوسل إليه قائلة ( فلتهمرْ روعة أمطاركْ ....فأيّامي تتشقّقُ عَطَشاً ) تناشده كي ينبت حبهما من جديد وتتشابك حياتهما كشجرة أغصانها في السماء عالية وتضرب بجذورها في أعماق التربة هذه الصورة قد تروق لنا وتبدو منطقية لحد ما لكن الجدة كل الجدة والعدول الدلالي يبلغ قمته في قولها :

**وأصرَخُ حتى ينغرسَ صوتي بصوتِكْ**

**.وتنغرسَ جذوري في ترابكْ**

**وأصبحَ جزءاً من دورتكَ الدمويّة .**

وعود جديد للذاكرة فنراها هنا قد تحولت لأرض تحتل وتزرع فيها الألغام أو عرشا يجلس فوقه :

[1]من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة حرائق على الثلج موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

**هذه الذاكرةُ التي تحتلُّها احتلالاً قسْريّاً**

**أيُّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عرشِ ذاكرتي .**

**.لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟**

**والحرائقَ تحت مخدّتي ؟**

وتتكرر هذه الأساليب نفسها في الحديث عن الذاكرة وإن بشكل آخر فتقول في قصيدة السمكةُ تعود إلى بحرها: (ها أنذا أكسرُ جدران ذاكرتي) وتقول: **مُشكِلتي**

**معك , لا عَلاقة لها بقلبي**

**بل بذاكرتي . .**

**هذه الذاكرةُ التي تحتلُّها احتلالاً قسْريّاً**

**منذ مئةِ عامْ**

**و لكنّكَ . . كَكُلِّ ذكور القبيلَة . . .**

**بقيتَ مصرّاً على الاحتفاظِ بممتلَكاتِكْ . .**

**التي لا تغِيبُ عَنها الشّمس . .**

**و بَقيتَ رافِعاً أعلامكَ الحمْراء**

**فوقَ أسوارِ ذاكرتي . . .**

**أيُّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عرشِ ذاكرتي**

**فلماذا , يا أيُّها الرجلُ الأبيَض**

**تواصل احتلال ذاكِرتي ؟**

**لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟1**

إنها تساؤلات (شاعرة الأسئلة) كما يصفها النقاد1 لها إجابة واحدة حيث اكتشفت شاعرتنا أنها عشقت وتزوجت فَصْلَ الشتاءِ بعواصفه العاتية وثلجه الأبيض وبرودته القارسة وتقلباته الكثيرة .والتزوج من فصل الشتاء عدول عن الاستعمال العادي للغة إلى اللغة الأدبية

---

[1]من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة رجل في الذاكرة موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/search?q=%D8%B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%AA%D9%8A

وضمت الشاعرة سعاد الصباح مع مضى كله أسلوبا أدبيا آخر هو المفارقة نجد ذلك ماثلا في تعبيرات (برائحة صوتك - و الثلج يحرقني بناره - و أنا مدجّجة بالعشق حتى أسناني .- أهربُ من رائحةِ صوتِك ..) ولها قصيدة بعنوان رائحة الصوت تقول فيها (أهربُ من رائحةِ صوتِك . إلى غرفتي .) وتصف الصوت بالبلور في قصيدة ( آخر السيوف) فتقول (في الليل أسمع صوتك البلورا )وقصيدة ثالثة بعنوان : ( صوتُك بيتي . . .) من أبياتها :

**أتغطّى بشراشفِ صوتِك القمَريّ**

**كما تحتضنُ طفلةٌ لُعبتَها**

**في ليلةِ العيد . . صوتُكَ شالٌ منَ الصّوف . .**

**ألبسُه في ليالي البردِ و الصّقيعْ**

**صوتُكَ مظلّةٌ . . و غمامةٌ . . . وديوانُ شعر . . .**

**صَوتُكَ كَتِف . . .**

**صوتُكَ بيتي . . .2**

فالصوت يحتل عند سعاد الصباح مساحة شعرية كبيرة فتستعير له مرة رائحة وتنعته أخرى بأنه قمرى وشالٌ منَ الصّوف ومظلّةٌ و غمامةٌ وديوانُ شعر و كَتِف وبيت. ولا يخفى علينا أن كل تلك النعوت مجازية فيها عدول عن الأصل اللغوي الذي وضعت له.

- النموذج الرابع : من قصيدة ليلة القبض على فاطمة:

**هذي بلاد تختن القصيدة الأنثى ...**

**وتشنق الشمس لدى طلوعها**

**حفظاً لأمن العائلة**

**وتذبح المرأة إن تكلمت ...**

**أو فكّرت ...**

[1] (أسئلة الشمس)،كتاب صدر حديثا للكاتب علي المسعود بيحوي عددا من الدراسات الأدبية التي تتناول تجربة د.سعاد الصباح الشعرية خاصة والأدبية بشكل عام

2 من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة صوتك بيتي موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

**أو كتبتْ ...**

**أو عشقتْ ...**

**غسلاً لعار العائلة ...**[1]

تتخلى الشاعرة سعاد الصباح في البيتين الأولين عن الدلالات الأصلية للكلمات وتؤثر لغة شعرية بحتة لتظهر مدى ما تتعرض له المرأة الشرقية من ظلم فادح في المجتمع ، والحياة على وجه العموم فتستعمل الفعل ختن مع القصيدة الأنثى وليس هناك قصيدة ذكر وأخرى أنثى حتي تختن من الأساس فالقصيدة الأنثى هي مجرد رمزية للمرأة العربية عند الشاعرة سعاد الصباح وكذا الشمس ومن هذا الذي يستطيع أن يشنق الشمس عند طلوعها وبذلك تكون شاعرتنا قد عدلت عن اللغة المعيارية المألوفة إلى اللغة الأدبية المجازية حتى توقظ المشاعر المخدرة والضمائر الميتة وتجذب الانتباه للجريمة النكراء التي ترتكب بحق المرأة العربية ،و الكويتية بصفة خاصة .

- النموذج الخامس : من قصيدة السمكةُ تعود إلى بحرِها :

**بيروت كحّلتني**

**وعطّرتني**

**وجمّلتني**

**وألبستني سواراً من الذهب . . .**

**لم أخلعْهُ من معصمي . . .**

**. بيروت أعطتني مفاتيح الشِّعر . . .**

**و قنديل الثقافة . . .**

**ولا يزالُ القنديلُ يتوهّجُ في غرفتي . . .**

**منذُ أكثر من ثلاثين عاماً . .**

**وأنجبتُ أحلى قصائدي ( مبارك )**

**علّمني بيتُنا في ( اليرزة )**

1 من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة ليلة القبض على فاطمة موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

**كيف أصادقُ الشجر**

**وكيف أغتسلُ بموسيقى المطر**

**وكيف أتذوّقُ سمفونيّة الصراصير الليليّة . . .1**

مرة أخرى تعدل الشاعرة سعاد الصباح عن الحقيقة للمجاز فشبهت بيروت بإنسان ثم حذفت المشبه به وأتت بشيء من لوازمه وهو ( كحّلتني – عطّرتني – جمّلتني - ألبستني سواراً من الذهب) وهذه الأفعال من خصائص الإنسان وحين تفتحت قريحة الشاعرة في بيروت واستوى عودها الثقافي هناك امتلكت بذلك مفاتيح الشعر وقناديل الثقافة وهذه الاستعارات ترمز إلى الانفتاح القلبي والتنوير العقلي (مفاتيح الشِّعر - قنديل الثّقافة - القنديلُ يتوهّجُ )وتشير دلالات لفظ ( مبارك ) إلى فلذة كبدها الذي رزقته في بيروت وإلى قصائدها التي أنشدتها فيه وإلى زوجها الشيخ عبدالله المبارك الصباح ويختم هذا المقطع بإسناد التعليم للبيت (علّمني بيتُنا في البرزة ) ثم استعارت الصداقة للشجر، والاغتسال لموسيقى المطر، والتذوق لسمفونية الصراصير الليلية، وهذه الصفات كلها من خصائص الإنسان وليست للشجر أو لموسيقى المطر أو لأصوات الصراصير، وهذا عدول عن اللغة التقليدية المعيارية إلى اللغة الأدبية بإيحائيتها ومجازتها لإثارة ذهن المتلقي والقدرة على التعبير عما يجيش في صدر الشاعرة من معان.

- النموذج السادس : من قصيدة السمفونيّـة الرّماديّة :

**كيف بوُسعي**

**أن أتجاهلَ هذا الوطنَ الواقعَ في أنياب الرٌعبْ ؟**

**يا أحبابي :**

**لا هذا عصرُ الشِّعر , ولا عصرُ الشُعَراءْ**

**هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراء ؟**

**هل يَنبُتُ وردٌ من مِشْنَقَةٍ ؟**

**أم هل تَطلَعُ من أحداق الموتي**

**أزهارٌ حمراء ؟**

**هل تَطلَعُ من تاريخ القتْلِ قصيدةُ شعرٍ ؟**

---

[1]من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة السمكةُتعودإلىبحرِها موقع

**هل تخرُجُ من ذاكرةِ المَعدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ ؟1**

لقد وقع الوطن الحبيب في قبضة الجهل والجهلاء والعنف والمتطرفين فهل يسع شاعرتنا تجاهلَ هذا الوطنَ الواقعَ في أنياب الرٌعبْ والوطن ليس لقمة سائغة يلتهمها حيوان ابتداء وليس الرعب هو ذاك الحيوان المفترس انتهاء إنما هي صورة بيانية مجازية تذكرنا بقول امرئ القيس :

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ2

إن شاعرة الأسئلة تعود من جديد لهوايتها المفضلة بطرح تساؤلات لإبراز الإفلاس الرٌوحيِّ والجَدْبْ الثقافي الذي وصلنا إليه في أوطاننا العربية المنكوبة من ثم تتساءل(هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراء ؟ ) إن إسناد الإنبات للقمح طبيعي ويسير على قواعد اللغة الأصلية لكن من غير المنطقي والطبيعي واللغوي أن تتحول الأجساد سواء كانت للفقراء أو الأغنياء إلى مزارع تنبت قمحا، إنها صورة بلاغية رائعة لتصوير عقم الحياة الفكرية والأدبية في بلادنا العربية التي من المستحيل أن تقدر مبدعا أو إبداعا حقيقيا فكما يستحيل أن ينبت الورد من مشنقة أو يطلع الزهر الأحمر من أحداق الموتى أو تنبع من ذاكرةِ المَعدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ فيستحيل كذلك أن تَطلَعُ من تاريخ القَتْلِ قصيدةُ شعرٍ ؟

- النموذج السابع : من قصيدة بيروت كانت وردةً و أصبحت قضيهْ:

**آتي من الكويتِ ..**

**كي أشكرَ الحرفَ الذي ثقّفني ..**

**وأشكرَ البحرَ**

**الذي :**

**إلى حدود الشمْسِ قد أطْلَقني . . .,**

**آتي إلى الجَنوبِ**

**حيثُ الأرضُ تُنبتُ الليمونَ , و الزيتونَ ,**

**والأبطالْ**

---

[1]من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة السمفونيّة الرّماديّة

[2] ديوان امرئ القيس الموسوعة الشعرية

وتُثْبِتُ العزّة . . و النّخْوة . . و الرّجالْ . . .

تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمَهْ

تَتَوالى . .

تَتَوالى . .

مثلَ ضَرَبَاتِ القدَرْ

أغلقتْ بالشّمْع أوكارَ السياسَهْ

ودكاكينَ الخَدَرْ

ذَبَحَتْ كلّ البَقرْ

فاستقيلُوا يا كبارَ الشُعراءْ

ليس للشّعْرِ إلا أميراً واحداً يُدْعى الحَجَرْ

تلكَ سِمْفونيّةُ الأرضِ المجيدَه

تتَوالى . . تتَوالى

مثلَ إيقاع النواقيسِ ,

ومُوسيقى القصيدَهْ

تَحمِلُ البَرْقَ إلينَا . . و المَطَرْ

إنّ إسرَائيلَ بيتٌ من زُجَاج . .

وانْكَسَرْ . .

ها هيَ الأخبارُ تأتي كالفرَاشات إليْنَا

خَبَراً ... بعدَ خَبَرْ . .

حَجَراً . . بَعدَ حَجَرْ . .

ها هُمُ أولادُنَا

يَضَعُونَ الشّمْس في أكياسِهِمْ

يُبْدِعونَ الزّمَن الآتي . . يَصِيدُونَ الرُعُودْ

**ويثُورُون على ميراثِ عادٍ , و ثمُودْ**

**هَا هُمْ أكبادُنا . .**

**يَقْتُلُونَ الزّمَنَ العبريّ . .**

**رائعٌ أن تَنْطُقَ الأرْضُ**

**وأن يمشي الشّجَرْ**

**ها هُمْ يَنْمُونَ كالأعشابِ**

**في قلبِ الشّوارعْ**

**ففتاةٌ مثلُ نَعنَاع البَرَاري**

**وفتىً مثلُ القمَرْ**

**ها هُمْ يمشُونَ للموتِ صُفوفاً**

**كعصافير المَزَارعْ**

**ويَعُودونَ إلى خَيْمَتِهم دُونَ أصابعْ. .1**

هذه ملحمة شعرية تعلي فيها سعاد الصباح من شأن المقاومة اللبنانية والفلسطينية بعد أن تشكر لبيروت أمرين :

أولهما : صنيعها الثقافي.

ثانيهما: يدها البيضاء التي أطلقت روحها من عنان القيد وأسر الجسم إلى حدود الشمس رفرافة في فضاء الخيال الأدبي.

من ثم تأتي شاعرتنا من الكويت خصيصا كي تشكرَ( الحرفَ الذي ثقّفني .و البحرَ الذي إلى حدود الشمْس قد أطْلَقَني )ثم ما تلبث الشاعرة الثائرة أن تصعد إلى الجنوب حيث الجهاد والمقاومة وهنا نفاجأ بأن أرض الجنوب لا تنبت الليمون والزيتون فقط بل تنبت ( الأبطالْ و تُنْبِتُ العزّةَ .و النَّخْوةَ .و الرّجالْ ) ابتعاد الشاعرة عن اللغة العادية ولجؤها إلى المجازية هنا يثير لدى المتلقي الدهشة والإعجاب لقد تحولت الأرض إلى فريق موسيقي يعزف للأمة أعزب ألحان الجهاد والعزة ( تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمة ) والعدول هنا يتمثل في إعطاء الأرض صفة إنسان يعزف لحن البندقية التي(تَتَوالى تَتَوالى مثلَ ضَرَبَاتِ القَدَرْ) وتحمل شاعرتنا على

---

[1]ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة بيروت كانت وردةً وأصبحت قضيةْ

دَهاقِنَةُ السِّياسَةِ حملة شديدة لا تبقي ولا تذر وتنعتهم بالبقر وأن أحزابهم السياسية كأوكار المخدرات تنشر الأفكار المسمومة وتسلب القوة من الأجساد العفية والعقول الذكية لترضى بالدنية فتحمد الشاعرة للمقاومة ضرباتها التي (أغلقَتْ بالشّمْع أوكارَ السياسة و دكاكينَ الخَدَرْ ذَبَحَتْ كلّ البَقَرْ) .

وتجعل الشاعرة من الحجر إنسانا فصيح البيان على حد قول أبي تمام :

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ          في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في          مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ1

(فاستقيلُوا يا كبارَ الشعراء ليس للشِّعْرِ إلا أميراً واحداً يُدْعى الحَجَرْ)وتشبه الشاعرة(إسرَائيلَ بيتٌ من زُجَاجٍ وانْكَسَرْ ) ولسعادتها بأخبار الانتفاضة تشبهها بالفراشات تقول:(ها هيَ الأخبارُ تأتي كالفَرَاشات إليْنَا خَبَراً . بعدَ خَبَرْ . حَجَراً . بَعدَ حَجَرْ ) ويستحيل عقلا أن توضع الشمس في كيس وتلك قرينة أن المقصود الحجارة (ها هُمُ أولادُنَا يَضَعُونَ الشمس في أكياسِهِمْ يُبْدِعونَ الزّمَن الآتي . . يَصيدُونَ الرّعُودْ و يثُورُون على ميراثِ عادٍ , و ثَمُودْ) وتعتبر الشاعرة أطفال الحجارة لسان الأرض العربية الذي ينطق وشجره الذي يمشي وأعشابه التي تنمو (رائعٌ أن تَنْطقَ الأرْضُ و أن يمشي الشّجَرْ ها هُمْ يَنْمُونَ كالأعشابِ في قلبِ الشّوارعْ و لقد يَظهرُ فيما بَيْنَهُمْ وَجْه عليّ . . أو عُمَرْ .)

- النموذج الثامن : من قصيدة آخر السيوف :

**يا أيّها النسر المضرج بالأسى    كم كنت في الزمن الردئ صبورا**

**كسرتك أنباء الكويت، ومن رأى    جبلا، بكل شموخه، مقهورا**

**شربت خيولك دمعَها وصهيلها    كيف الخيول تموت؟ لا تفسيرا**

**ما عاد بحرك أزرقا، يا سيدي    فكأنما صار النهار ضريرا**

**غدروا بهارون الرشيد وأحرقوا    كتب التراث وأعدموا المنصورا**

**يتفتت التاريخ بين أصابعي    وأشاهد الوطن الجميل كسيرا**

**ذبحوا الطموح الوحدوي من الذي    يرضى بأن يتزوج الساطورا**

**يا خيمتي وسط الرياح، من الذي سيلمّ بعدك دمعي المنثورا**

---

[1] ديوان أبي تمام الموسوعة الشعرية

**يامن ذهبتَ وما ذهبتَ، كأنني   في الليل أسمع صوتك البلورا**

**من ذا يغطينيا بريش حنانه   من يملأ البيت الكبير حضورا**

**أنت السفينة والمظلة والهوى   يامن غزلت لي الحنان جسورا**

**غطيتني بالدفء منذ طفولتي   وفرشت دربي أنجما وحريرا**

**البحر أنت يفيض عن شطآنه   قدر الكبير بأن يظلّ كبيرا**

**يا آخذ الكلمات تحت ردائه ما   عدت بعدك أحسن التعبيرا 1**

شعر الرثاء يمتاز بصدق العاطفة أكثر من أي لون آخر وهذه القصيدة التي بين أيدينا تهديها الشاعرة لروح زوجها ، ورفيقها ، ومعلّمها عبد الله مبارك " بهذه الأبيات البديعة ، التي تقطر دماً  افتتحت قصيدتها اليتيمة في المجموعة ، لقد شربت خيوله ، دمعها ، وصهيلها ، وتسأل كيف تموت الخيول ..؟! لا تفسير لذلك أبداً .. ، حتى البحر ما عاد لونه أزرق ، كأنما صار النهار ضريراً ، تعود بذاكرتها للماضي ، كيف غدروا من قبل بهارون الرشيد ، وأحرقوا كتب التراث ، وأعدموا المنصور ..؟!هل التاريخ يُعيد نفسه ، ولكن بأيدٍ عربية ..؟! لقد هتكوا الستور ، وكشفوا الأعراض ،"2

لقد عدلت الشاعرة عن وصف زوجها  بأنه يترفع عن الدنايا  ويصبر على الأذى وفضلت التعبير المجازي ( النسر المضرج بالأسى ) ليفي بهذه المعاني ويزيد عليها التحليق عاليا فوق كل المغريات والشموخ المضرج بالأسى على حال قومه المزرية ولتصوير وقع أخبار احتلال الكويت على زوجها تقول : (كسرتك أنباء الكويت ) فإسناد الكسر لأنباء الكويت تعبير عدولي مجازي تستعير فيه الشاعرة صفة الكسر من الإنسان للأنباء والخيول لا تشرب الدمع فضلا عن الصهيل الذي هو صوت .

(شربت خيولك دمعَها وصهيلها   كيف الخيول تموت؟ لا تفسيرا)

وتمنح للنهار عينين فقد الإبصار بهما لما فقد المبارك رحمه الله: (فكأنما صار النهار ضريرا) والتاريخ ليس حلوى تفتت  لكن لما هجم المغول الجدد وغدروا بهارون الرشيد

[1]ديوان " آخرالسيوف قصيدة آخرالسيوف موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_4175.html

[2]مقال بعنوان "الشاعرة سعاد الصباح  جدلت بضفائر شِعرها شمس الحرية ..! بقلم : محمد الزين والسلوم موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/search?q=

وأحرقوا كتب التراث وأعدموا أبا جعفر المنصور صار التاريخ يتفتّت بين أصابع شاعرتنا ، كم هو هشٌ هذا التاريخ تحت أقدام عتاة البشر الغزاة ونفس كسيرة آلمها ظلم ذوي القربى:

وَظُلمُ ذَوي القُربى أَشَدُّ مَضاضَةً عَلى المَرءِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ[1]

في هذه الحال (يتفتت التاريخ بين أصابعي) لقد ذبح دعاة الوحدة العربية (الطموح الوحدوي)وقطعا الطموح لا يتثنى ذبحه فهو شيء معنوي لكن شاعرتنا استعارت له الذبح من الأمور المادية ومن ثم صار من المستحيل أن يرضى عاقل بأن يتزوج الساطورا ) الساطور رمز للدكتاتورية العربية المتسلطة على شعوبها .

ومن البيئة العربية البدوية تستعير الشاعرة لزوجها الحبيب كلمة الخيمة التي تمثل لها السكن والأمان والارتواء العاطفي :

يا خيمتي وسط الرياح، من الذي سيلمّ بعدك دمعي المنثورا

من ذا يغطينيا بريش حنانه من يملأ البيت الكبير حضورا

وهاهي الشاعرة تجسد من الحنان خيوطا تغزل من قبل فقيدها الراحل المبارك (يامن غزلت لي الحنان جسورا) وتجعل من الدفء غطاء ولأنجم والحرير فرشا (غطيتني بالدفء منذ طفولتي وفرشت دربي أنجما وحريرا)"لقد كان أبا مبارك قبيلتها ، وجزيرتها ، وشاطئها المسحور ، وخيمتها وسط الرياح ، ...وتمضي في رثاء أبيها ، ومعلّمها ، الإنسان ، الأمير ، منارة عمرها ، ودرعها ، وكتابها المأثور ، باختصار لقد كان الكويت كلها ، بأصالتها ، وحضارتها ، ومناقبها العربية ، وجذورها .. هو البحر ، الذي يفيض بشطآنه ، وسيبقى في العين الكحل ، وبخوراً في الشفاه"[2]إلى أن تقول في آخر بيت في القصيدة :

يا آخـذ الكلمــات تحـت ردائـــــه ما عدتُ بعـدك أُحسـن التعبيـرا .

هذا هو إذن بيت القصيد تعدل فيه الشاعرة عن المعنى الحقيقي للكلمات المعنوية وتجسدها بالمجاز شيئا ماديا قابلا لأن يؤخذ تحت الرداء
وقد كفنت كلمات الشاعرة ووسدت التراب مع زوجها فيا له من تعبير رائع مبدع ممن تقول :" ما عدتُ بعـدك أُحسـن التعبيـرا ."

- النموذج التاسع قصيدة :وردة البحر:

---

[1]ديوان طرفة بن العبد الموسوعة الشعرية

[2]السابق

**كويتُ, كويتْ**

**موانئ أبحر منها الزمان**

**وواحة حبّ وبرٌ أمان**

**كويتُ, كويتْ**

**شواطئ مصقولة كالمرايا**

**وبحرٌ يوزّع كلّ صباحِ علينا**

**ألوف الهدايا**

**وشاي أبي**

**وابتسامة أمي**

**ومحفظتي وجديلة شعري**

**وكوب الحليب قبيل الذهاب الى المدرسة**

**وأولُ مكتوب حبٍّ أتاني**

**فأشعل عاصفة في دمايا**

**كويتُ, كويتْ**

**أشِيلُك**

**-حيث ذهبتُ -حجاباً بصدري**

**أشيلك**

**بُرعُم وردٍ, بأعماق شعري**

**أشيلك في القلب وشما عميقاً**

**لآخر...**

**آخر أيام عمري**

**كويتُ, كويتْ**

**هنا ابتدأتْ رحلة السندبادْ**

**هنا وردة البحر قد أزهرت**

**وراح ابن ماجد**

**يقطف نجماً... ويزرع نخلاً**

**ويخلق في لحظات التحدِّي بلاد**

**هنا الشعر والنخل يغتسلان معاً**

**في مياه الخليج**

**فجاءت ربابُ إلى وعدنا**

**وبانت سعاد**

**كويتُ, كويتْ**

**وطفل المحبة بين ذراعيك طفل جميل**

**وزرع العروبة فيك قديم... قديم**

**كهذا النخيل**

**كويتُ, كويتْ**

**أحب ابتسامتك الطيبهْ**

**وإيقاع صوتك, إذ تضحكين**

**أحبك ...صامتةً متعبهْ**

**وأعماق عينيك إذ تحزنين**

**أحبك حين تكون السماء**

**مطرزة بالرعود, ومثقوبة بالشرر**

**فكيف تصيرين أجمل عند اشتداد الخطر..?**

**كويتُ.... كويتْ**

**لقد قرر العالم العربي اغتيال الكلام**

**ونحن طيور مثقفة لا تطيق...**

**غسيل الدماغ وكسر العظام**

**ونحن حروف مقاتلة**

**سوف تهزمُ بالشعر كل عصور الظلام**

**ويسعدني أن يكون تراب بلادي**

**مزار البنفسج والشُّهداء**

**ويسعدني أن تظل بلادي جزيرة حرية رائعه**

**بها الموج يغضب حين يشاء**

**ونافذة نتنشق منها الهواء**

**فعصر المباحث صادر منا السماء**

**وأدخل للسجن ضوء القمر ..!!1**

في هذه القصيدة وردة البحر تصف الشاعرة سعاد الصباح "أهلها في الكويت ، وطباعهم ، وعاداتهم ، وتصف الكويت وجمالها ، تركّز على النجوم ، والنخل ، والشعر ، وتعلن أنّ الكويت ستعود لأهلها الكرام ، وتكرر جملة كويت ، يا كويت ، عدة مرات في بداية كل مقطع ،" 2 في المقطع الأول تقول:(كويتُ, كويتْ موانئ أبحر منها الزمان) اسناد الإبحار الذي هو من فعل البشر للزمان استعارة تخرج بالكلام عن أصل وضعه ولا يكون للحب واحة إلا على سبيل الاستعارة كذلك (واحة حبّ وبرٌ أمان ) ثم تصف الشاعرة الشواطئ الكويتية بأنها (مصقولة كالمرايا ) وهذا لو وصفت به امرأة حسناء لكان طبيعيا على النسق اللغوي المعتاد لكن الجرأة الأكبر من ذلك على النظام اللغوي التقليدي تأتيك حالا فها هو البحر (يوزّع كلّ صباح علينا ألوف الهدايا وشاي أبي وابتسامة أمي ومحفظتي وجديلة شعري وكوب الحليب قبيل الذهاب الى المدرسة وأولُ مكتوب حبٍّ أتاني فأشعل عاصفة في دمايا) هذه الاستعارات جميعها أخذت من الإنسان وخلعت على شواطئ الكويت في عدول عن الأصل اللغوي الذي ألفه العرب .

[1]ديوان برقيات عاجلة إلى وطني قصيدة وردة البحر موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_4175.html

[2]مقال بعنوان "الشاعرة سعاد الصباح جدلت بضفائر شِعرها شمس الحرية ..! بقلم : محمد الزين والسلوم موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/search?q

في المقاطع التالية تستعمل الشاعرة لفظا عربيا ابتذلته الألسن حتى كاد يحسبه من لا يسبر غور العربية من الألفاظ الفصيحة1 وهو اللفظ (شال) تقول :(أشِيلُك -حيث ذهبتُ -حجاباً بصدري أشيلك بُرعُم وردٍ, بأعماق شعري أشيلك في القلب وشما عميقاً لآخر...أيام عمري)وهذا عدول عن اللفظ الذي يتوقعه مستمعها الأريب وهو في الأغلب من طبقة الشعراء والأدباء فتعمد إلى لفظ دارج على ألسنة العامة يحدث إثارة ودهشة لدى السامع وتكرره ثلاث مرات وهذا من خصائص معجم الشاعرة سعاد الصباح .والكويت ليس تميمة تعلق في الرقاب حتى تحمل بيد أن شاعرتنا جعلت من وطنها حجابا تتبرك به ووساما على صدرها وبرعم ورد يتفتح لكن أين يتفتح هذا البرعم ؟ يتفتح في أعماق شعرها يا لجمال هذا العدول المركب فالكويت الوطن يتحول لبرعم ورد ولا تفتح كعادة الزهور وسط الحقول والبساتين بل في أعماق أعماق شعرها وتتصاعد وتيرة العواطف الوطنية في ختام المقطع لتصير الكويت في استعارة جديدة وشما نقش على قلب الشاعرة المخلصة.

وتستعرض الشاعرة شيئا من تاريخ الكويت المجيد فتقول : ( كويتُ, كويتْ هنا ابتدأتْ رحلة السندبادْ ..وراح ابن ماجد يقطف نجماً... ويخلق في لحظات التحدِّي بلاد ) وابتعدت الشاعرة عن اللغة المعيارية العادية كثيرا و راحت تنشد لغة غريبة حيث جعلت النجوم تقطف وهي بالكاد ترى من آلف السنين الضوئية والقطف يكون للزهر والإنسان لا يخلق ذبابا فضلا عن أن يخلق بلادا فهي استعارة فجة كما نرى (هنا الشعر والنخل يغتسلان معاً ) وتستمد هذه العبارة شاعريتها من ابتعادها عن اللغة المألوفة فسعاد الصباح استعملت فعل الغسل للشعر ورمزت إليه بـ(جاءت ربابُ إلى وعدنا - وبانت سعاد)

وتتخلى اللغة عن دلالتها الأصلية وتعدل عنها إلى الاستعارة المكنية لتثير ذهن المتلقي بقولها : ( وطفل المحبة بين ذراعيك طفل جميل) فحين جعلت الشاعرة للمحبة طفلا اسبغت على المحبة من صفات الكائنات الحية الأمومة والتناسل والنمو والجمال وصارت الكويت أما تحمل بين ذراعيها هذا الطفل طفل المحبة والأمر نفسه يتكرر في قولها (وزرع العروبة فيك قديم) والتبسم والضحك والصمت والتعب والحزن من أفعال الإنسان فإذا بها على لسان شاعرتنا أسندت للكويت (كويتُ, كويتْ أحب ابتسامتك الطيبهْ وإيقاع صوتك, إذ تضحكين أحبك ...صامتةً متعبهْ وأعماق عينيك إذ تحزنين) وتتوارى اللغة العادية أكثر فاكثر حيث تصبح سماء الكويت

---

[1] في مقاييس اللغة (3/ 230)الشِّين ُوَالْوَاو ُوَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِارْتِفَاعِ. مِنْ ذَلِكَ شَالَ الْمِيزَانُ،إِذَا ارْتَفَعَتْ إِحْدَى كِفَّتَيْهِ. وَأَشَلْتُ الشَّيْءَ: رَفَعْتُهُ،" وينظر لسان العرب (11/ 374)والمعاجم العربية مادة (شول)

حسناء تتحلى بعقد مطرز بالرعود والشهب (أحبك حين تكون السماء مطرزة بالرعود, ومثقوبة بالشرر فكيف تصيرين أجمل عند اشتداد الخطر..؟)

وبدل التعبير بمنع الكلام يجئ تعبير شاعرتنا بـ( اغتيال الكلام) وتستعيض عن تغيير الأفكار بقولها (غسيل الدماغ ) وعن خوض المثقفين معركتهم الثقافية إن جاز التعبير بقولها ☹ نحن حروف مقاتلة سوف تهزمُ بالشعر كل عصور الظلام) والحروف لا تقاتل إنما يقاتل بها أصحابها وتعبير الشاعرة أكثر مبالغة وفيه عدول عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي بإسناد صفة القتال للحروف مما يثير الدهشة ويوحي بمدى أهمية الكلمة في معارك التحرر الفكري والوطني والتعبير عن الموت بالزيارة استعارة تفيد فرحة الزائر بالشهادة (ويسعدني أن يكون تراب بلادي مزار البنفسج والشُهداء) ويبدو التأثر هنا بقول الحقﷻ:" (ألۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ){حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر}[التكاثر:1-2] قال الطبري "وقوله: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها"1 وتعدل الشاعرة كعادتها عن اللغة المعيارية العادية فتسند الغضب للموج الموج يغضب حين يشاء) لكن أعجوبة الأعاجيب أن تصادر الأنظمة المستبدة السماء وضوء القمر (فعصر المباحث صادر منا السماء وأدخل للسجن ضوء القمر)

- النموذج العاشر : من قصيدة موعد مع الجنة:

**ألا فانظرْ لأيامي وما أقسى لياليها**

**تُعذّبُني دقائقُها وتحرقُني ثوانيها**

**وهذي دارُنا الغنّا ءُ قد حالتْ مغانيها**

**وطوّفَ بائعُ الأحزا نِ في أقصى نواحيها2**

في هذه الأبيات آثرت الشاعرة الأسلوب العدولي كي تعبر عن حزنها الدفين لفراق ولدها الحبيب مبارك ، وما أصدق الكلمات حين تخرج من قلب أم مكلومة على فلذة كبدها من ثم أسندت للدقائق التعذيب وللثواني الإحراق و خصصت بائعا للأحزان وهذا العدول عن اللغة المعيارية العادية إلى اللغة الأدبية الشعرية عبر المجاز والكنايات يرسم لنا صورة معبرة عن حال هذه الأم وما تعانيه من ألم الفراق .ويجذب الانتباه ويمنح النص بعدا جماليا خلابا فلله درها من شاعرة !!!!.

1تفسيرالطبري = جامعالبيانتشاكر (24/ 580)

2ديوان "إليك يا ولدي"قصيدة موعد مع الجنة موقع -http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2014/07/blog post_14.html

## الفصل الثالث

## العدول الدلالى فى شعر سعاد الصباح

يهدف هذا الفصل إلى إلقاء الضوء على العدول الدَّلالي وبيان مفهومه وصوره ودوره في الإبداع الأدبي . وكيف استعملته الشاعرة سعاد الصباح للتَّعبير عن المشاعر والأفكار التي ترمي إليها

### المبحث الأول: العدول الدلالي ودوره في الإبداع الأدبي

- **أولا :مفهوم العدول الدلالي :**

مر بنا تعريف العدول فلا يحتاج إلى مزيد بيان أو تكرار فلنبحث إذن عن معنى الدلالة لغة واصطلاحا لننتقل بعدها لبيان مصلح العدول الدلالي وبيان صوره وأنواعه :

- ✓ الدلالة لغة :

قال ابن فارس : " الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة نتعلمها ،والآخر اضطراب في الشيء فالأول قولهم دللت فلانا على الطريق "1 " قال ابن الأعرابي : ودُل فلان إذا هُدي "2" ولاسم الدلالة بكسر الدال وفتحها "3 وذكر ابن منظور:أن الفتح أعلى قال:" والدليل ما يستدل به والدَّلِيل: الدَّالُّ. وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أَعلى, وأَنشد أبو عبيد:

---

1 مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا تحقيق . عبد السلام هارون . دار الجيل بيروت ج 2 ص 259

2 تاج العروس للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي ط . دار صادر بيروت ج 7 ص 335

3المصباح المنير ص 27ج1

إنِّي امْرؤ بالطُّرْق ذو دَلالات"1

نخرج من هذا العرض المعجمي بأمور :

أولها: أن معنى الدلالة لغة الهداية، والإرشاد.

ثانيها : أن مطلق الإرشاد هو المراد ، دون تخصيص بلغة ، أو إشارة ، أو حدث.

ثالثها : جاءت الكلمة في الاستعمال القرآني بنفس المعنى قال تعالى :"فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته..". سورة سبا أية 14

✓ الدلالة في الاصطلاح :

لقد عرف الدرس اللغوي العربي القديم مصطلح الدلالة وصفا لأداء اللفظ لمعناه ، يقول الجاحظ في سياق حديثه عن البيان :" وعلى قدر وضوح الدلالة ،وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح ، وأفصح ، وكانت الإشارة أبين ، وأنور كان أنفع ، وأنجح ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله ـ عز وجل ـ يمدحه "2وعد الجاحظ دلالة اللفظ على ا لمعنى أحد أنواع الدلالات الخمسة ويحد التهانوي مصطلح الدلالة بما تعارف عليه أهل الميزان ، والأصول ، والعربية ، والمناظرة قائلا :"الدلالة بالفتح الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر، والشيء الأول يسمى دالا والشيء الأخر يسمى مدلولا، والمراد بالشيئين معا ما يعم اللفظ وغيره"3وما خرج الاصطلاح عند المحدثين عما حده القدماء كثيرا ، فيعرف عادل فخوري دلالة اللفظ " بأن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ،ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم ، فكلما أورده الحس على النفس التفت إلى معناه "4 وعلى ضوء كلا التعريفين نستطيع أن نعرف المقصود بهذه المصطلحات: (الدال ــالمدلول ــالنسبة )5

---

[1] لسان العرب جـ11 صــ249 دار صادر بيروت ط/ 1

2البيان والتبيين ج1 ص 76 دار الجيل بيروت ت: عبد السلام هارون

3 كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي الحنفي وضع الحواشي أحمد حسن ج2 ص119 ط1998 منشورات دار الكتب العلمية . بيروت .

4علم الدلالة عند العرب . دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة . عادل فخوري ص12 ط الثانية 1994 دار الطليعة . بيروت .

5 علم اللغة بين القديم والحديث . د/ عبد الغفار حامد هلال ص190 ط3 1989












لقد أسهبنا نوعا ما في بيان مفهوم الدلالة وبعضا من مفردات هذا العلم لنؤسس لمصطلح العدول الدلالي من جهة ولبيان النقلة الشاسعة التي يقوم بها المبدع لدلالات الألفاظ من جهة ثانية وكم العلاقات التي تتغير وتتولد تبعا لذلك من جهة ثالثة .وبناء على ما سبق نستطيع تعريف العدول الدلالي بأنه تغيير لدلالات الألفاظ وعدول بها عن أصل وضعها الأول لعلاقة بين المعنى الأصلي (القديم ) والعدولي (الحديث) أو كما يقول جان كوهن هو انتقال "من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي "1وهذا العدول يأخذ صورا متباينة ويندرج تحته أنواع مختلفة نتعرف عليها فيما يلي:

- أنواع العدول الدلالي وصوره :

للإمام عبد القاهر الجرجاني أطروحات نفيسة للغاية حول هذه القضية يقول :"الكلامُ على ضَرْبين:

ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرض بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ" مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلتَ: "خرجَ زيدٌ"، ...... وعلى هذا القياس.

وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرض بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالة ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل"،..... أوَ لا تَرى أنكَ إذا قلتَ: "هو كثيرُ رمادِ القِدْر"، أو قلتَ: "طويلُ النجادِ ..فإنَّكَ في جميع ذلك لا تُفيدُ غرضَك الذي تعني من مجرد اللفظ،

---

1 بنية اللغة الشعرية جان كوهن ص 205

ولكن ليدل اللفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنًى ثانياً هو غَرَضُك، كمعرفتِكَ مِنْ "كثير رمادِ القدر" أنه مضيافٌ، ومن "طويل النِّجاد" أنه طويلُ القامة، ....وكذا إذا قال: "رأيتُ أسداً"، ودلَّكَ الحالُ على أنه لم يُرِدِ السبعَ، علمتَ أنه أرادَ التشبيهَ، إلا أنَّه بالغَ فجعلَ الذي رآه بحيث لا يتميَّزُ عن الأسد في شجاعته."1
يشير الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذا الكلام إلى دلالات الألفاظ وما يتفرع عنها من أنواع

ولم يكتف الإمام عبد القاهر بتقسيم الكلام لهذين الضربين الكبيرين إنما وضح بجلاء صور النوع الثاني فقال :" ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و "الاستعارة" و "التمثيل"،....فمن هذا القبيل أبيات سعاد الصباح التي تقول فيها :

**يَا مَرْفَئِيَ الَّذِي أظَلُّ بِانْتِظارِهِ**

**أُعَلِّقُكَ، كَحَلَقِ الزُّمُرُّدِ، فِي أُذُنِي**

**وَأَدْخُلُ بِكَ شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَةَ**

**أُخَبِّئُكَ كَالثَّوْبِ الجَدِيدِ**

**فِي كِيسِ مُشْتَرَيَاتِي**

**أَلْبَسُكَ كَإِسْوَارَةِ الذَّهَبِ فِي مِعْصَمِي2**

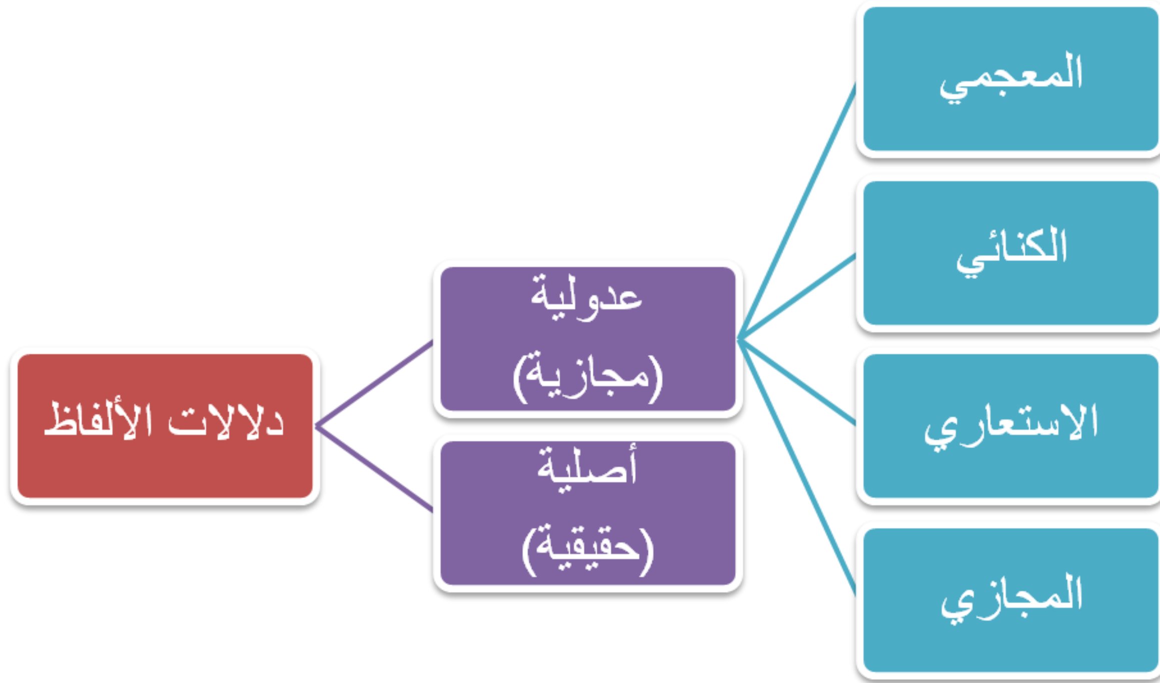
تعبر الشاعرة في هذه الأبيات عن زوجها الحبيب بـ(المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب ) وهي استعارات وتشبيهات غير تقليدية متشبعة بروح العصر يتحول فيها الزوج الحبيب إلى شاطئ الأمان الذي طال انتظاره من مسافر غريب أو غريق يرجو النجاة وتتباهى بحبها لزوجها غير عابئة بعرف أو تقليد قد يمنعها من التعبير عن مشاعرها ومرة ثانية تحول الزوج لحلق زمرد تتجمل به شاعرتنا في شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَةَ لكن ما تلبث أن تخشى على زوجها الحبيب غائلة الحسد أو يسرقه غيرها منها فتخبئه كالثوب الجديد في كِيسِ المُشْتَرَيَاتِ أو تمسك به في معصمها كأسورة الذهب لقد عدلت سعاد الصباح بهذه الكلمات (المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب ) عن أصل معناها الذي وضعت له واستعملته هذا الاستعمال الجديد .وهذا من العدول الدلالي لاريب الذي ألمح إليه الإمام عبد

---

1دلائل الإعجاز تشاكر (1/ 262)

2 من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشعر والنثر لك وحدك موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

القاهر في النص السابق . ونضيف إلى هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها صاحب دلائل الإعجاز المجاز المعجمي كما هو مبين في الشكل الآتي :




وإن كانت هذه هي الأنواع الكبرى للعدول الدلالي أو ما يمكن تسميته بوسائل العدول من مجاز واستعارة وكناية فهناك اتجاهات لهذا العدول تختلف ضيقا وسعة، حسيا ومعنويا، تعميما وتخصيصا، سموا وانحطاط.

▪ اتجاهات العدول الدلالي :-

الكلمة حين يحدث لها نوع تغير على يد الأديب أو الشاعر لا تتجه وجهة واحدة , بل هذا الاتجاه الذي تسلكه ليس ملتزما في كل لفظة مماثلة , إنما الأمر على درجة كبيرة من التفاوت إذ الظروف المحيطة بالكلمة , وشخصية القائم على عملية العدول لها دور كبير في اتجاه العدول الدلالي وجهة معينة , ومع الاعتراف بذلك كله, فلا مناص من القول بأن هناك اتجاهات غالبة على العدول الدلالي وهي :

1- تعميم الدلالة : حيث يتم إسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ , وهنا تتسع دلالة اللفظ لتشمل ما كانت تحجبه تلك الملامح المميزة خذ على سبيل المثال هذا الجزء من قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة للشاعرة سعاد الصباح تقول فيه :

**هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضة . .**

**و لا تريدُ امرأة غاضبة**

**و لا تريدُ امرأة خارجة**

**على طقوُسِ العائلة[1]**

لم ترد مادة (ط ق س ) في المعاجم العربية القديمة إنما رودت مستعملة في المعجم الوسيط بمعنى" النظام وَالتَّرْتِيب و (عِنْد النَّصَارَى) نظام الْخدمَة الدِّينِيَّة أَو شعائرها واحتفالاتها (د) وَحَالَة الجو أَو المناخ (محدثة) (ج) طقوس"[2] لكن سرعان ما عدلت الشاعرة عن هذا المعنى الخاص بنظم الخدمة الدينية وأسقطت قيد النصارى وعممت دلالة اللفظ ليشمل نظم وعادات القبيلة.

2- تخصيص الدلالة : فيضاف للكلمة قيود جديدة تقلل من نطاق دلالتها كما وكيفا , فمما جاء في قصيدة صيحة عربية للشاعرة سعاد الصباح:

**يا بلاد الهوان, يا أم صهيون**

**وبالأم يعرف الأبناء..**

**يا بلاد المهاجرين, ومنهم**

**جاءنا الضائعون والدهماء[3]**

حين نراجع معاجمنا العربية القديمة حول لفظ الدهماء فلن نجد في اللفظ ما يشير من قريب أو بعيد إلى ازدراء أو احتقار قال الخليل :"والدَّهْمُ: الجماعةُ الكثيرةُ، ودَهَمونا، أي: جاءونا بِمَرَّةٍ جماعةً."[4] أما حين نطالع العربية المعاصرة واستعمالاتها للفظ فسنجد الكلمة قد حملت إيحاءات سيئة وهو ما رمت إليه الشاعرة في قولها :"جاءنا الضائعون والدهماء" وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة "الدهماء عامَّةُ الناس وجماعَتُهُم "رجلٌ من الدَّهماء- مشعوذ يتلاعب بعقول الدَّهماء" ° زعيم الدَّهْماء: قائد يحصل على قوّته عن طريق المناشدة المشبوبة والمثيرة لغضب الجماهير."[5] لقد خصص اللفظ في الاستعمال المعاصر بجماعة الأراذل من الناس وهذا قيد أضيف فضيق من دلالته العامة يدلنا على ذلك السياق الذي ورد فيه اللفظ على لسان الشاعرة وهي تهجو الصهاينة وتصف هجراتهم لفلسطين بهذه الأعداد الكبيرة .

---

1من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة

2 المعجم الوسيط (2/ 561)

3من ديوان قصيدة صيحة عربية موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

4 العين (4/ 31)

5 معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 778)

3- نقل المعنى: هو الصورة المباينة للمعنى القديم عكس الاتجاهين السابقين , فتضييق أو توسيع الدلالة كان لنفس المعنى , والمجاز الذي " يتساوى فيه الطرفان يدخل تحت هذا النوع المسمى بنقل المعنى , أو تغيير مجال الاستعمال , ولكن ذهب (Arlotto)

إلىأن الفرق يتمثل في أن الأولين يتمان عادة بصورة غير شعورية , أما الثالث فيتم بصورة قصدية لغرض أدبي غالبا ..."1ومن الكلمات التي تغيرت دلالتها بطريق النقل على لسان شاعرتنا سعاد الصباح كلمة لغم في قصيدة رجُل في الذّاكرة تقول.:
لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟

فالدلالة القديمة للكلمة كما في معجم العين على سبيل المثال : "لغم: لَغَمَ البَعيرُ يَلْغَم لُغامَه لُغْماً أي رمى به."2ومادة "اللَّامُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ الْمَلَاغِمُ: مَا حَوْلَ الْفَمِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: تَلَغَّمْتُ بِالطِّيبِ: جَعَلْتُهُ هُنَاكَ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: تَلَغَّمَ بِالطِّيبِ: تَلَطَّخَ"3 فإذا ما انتقلنا للمعاجم العربية المعاصرة وجدنا البون شاسعا والتغير الدلالي للفظ ليس من قبيل التعميم أو التخصيص بل هو نقل للدلالة كلية فالصورة الجديدة مباينة للمعنى القديم فاللغم كان مستعملا في حقل الإنسان والحيوان فاستعمل حديثا مع الجمادات وبطريقة مغايرة تماما جاء في المعجم الوسيط اللغم " شبه صندوق أو علبة تحشى بمواد متفجرة ثمَّ يوضع مَسْتُورا فِي الأَرْض فَإِذا وَطئه واطئ انفجر"4 أضف إلى ذلك أن الفعل زرع لا يستعمل مع اللغم إلا على وجه من المجاز كذلك فصار شائع اليوم على السنة الناس قولهم :" "زرع لَغَمًا....حَقْل ألغام: منطقة زُرعت فيها ألغام- زَرَّاعة ألغام: سفينة مجهّزة لزرع الألغام تحت الماء."5

4- الانتقال من المحسوس إلى المجرد : المجتمع الإنساني وهو ينتقل من طور البداوة إلى التحضر تنمو معه قدراته العقلية نظرا لكثرة معارفه , ومن مظاهر هذا الرقي "الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية ...الخ ثم عادة في صورة تدريجية , تنزوي الدلالة المحسوسة, وقد تندثر , وقد تظل جنبا إلى جنب , مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر"6من أمثلة هذا الانتقال من المحسوس إلى المجرد كلمة ثقف فالثقافة

---

1علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر صـ247 بتصرف يسير

2العين (4/ 423)

3 .مقاييس اللغة (5/ 255)

4 المعجم الوسيط (2/ 830)

5 معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 2019)

6علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر صـ238

كما عرفتها شاعرتنا واستعملتها ليست هي عينها المستعملة في معاجمنا العربية القديمة تقول الشاعرة سعاد الصباح :

فمنك تعلّمت كيف أثقف ذوْقي ....ومنك تعلمتُ كيف أُثقف عقلي

فآلة الثقاف كما يقول الخليل " حديدة تسوى بها الرماح ونحوها، والعدد أثقِفةٌ، وجمعه ثقف."1 وقال ابن فارس في المعنى المحوري الأصلي الذي تؤب إليه شتى الدلالات "الثَّاءُ وَالْقَافُ وَالْفَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْفُرُوعُ، وَهُوَ إِقَامَةُ دَرْءِ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ ثَقَّفْتُ الْقَنَاةَ إِذَا أَقَمْتَ عِوَجَهَا. قَالَ: نَظَرَ الْمُثَقِّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا وَثَقِفْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ. وَرَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ، وَذَلِكَ أَنْ يُصِيبَ عِلْمَ مَا يَسْمَعُهُ عَلَى اسْتِوَاءٍ".2لعل هذا هو طرف الخيط الذي امسكت به عربيتنا المعاصرة فقالت :" ثقُفَ يَثقُف، ثَقافةً، فهو ثَقِف • ثقُف الشَّخصُ: صار حاذقًا فطنًا "انكبَّ على المطالعة حتى ثقُف"."3وشاعرتنا قومت ذوقها وكلامها بالعلم والاطلاع من أجل زوجها وهذا الاستعمال فيه فوق الانتقال من المحسوس إلى المجرد تعميم للدلالة كذلك فصارت تطلق على الكلام والذوق هلم جر.

5- سمو الدلالة : تختلف نظرة الجماعة اللغوية إلى دلالات الألفاظ من زمن لآخر, ومن جيل إلى جيل , ومن بيئة إلى بيئة مغايرة فحين تحظى بعض الكلمات بشيء من القداسة والسمو من الممكن أن تكون في بيئة أخرى ,أو زمن متأخر ,أو جيل تال ليست ذات قيمة تذكر "

6- انحطاط الدلالة : وفي سلم الاستعمال الاجتماعي قد تنزل الكلمة إلى الحضيض عبر العدول الدلالي لأن الشاعرة أشاعت ابتذالها , فعلى سبيل المثال كلمة دهماء التى أشرنا إليها آنفا

**المبحث الثانى : العدول الدلالى فى شعر سعاد الصباح**

نرصد في هذا الفصل ما يصيب دلالات الألفاظ من تحول عن الأصل الذي وضعت له , سواء أكان هذا التحول انتقالا جذريا أو جزئيا , ونتلمس في المعجم الشعري للشاعرة سعاد الصباح هذا التحول الذي لا يمكن ان يندرج تحت المجاز والاستعارة والكناية والتي وقفنا معها في

---

1العين (5/ 138)

2مقاييس اللغة (1/ 382)

3معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 318)

الفصل السابق إنما مبتغانا هنا ما يعرف بالمجاز المنسي : (DEAD)... وهو النوع الذي يفقد مجازيته , ويكتسب الحقيقة من الألفة وكثرة التردد .. "1 وتهدف الشاعرة من هذا العدول سد فجوة معجمية, فليست الغاية في هذا المجاز الإيضاح, أو التشبيه , أو التأكيد, أو الاثارة والدهشة وحسب .وسنتبع في دراسة العدول الدلالي عند الشاعرة سعاد الصباح الخطوات الآتية:

أولا: نص الأبيات التي بها عدول دلالي .

ثانيا : ذكر المعنى المعجمي الأصلي للمادة .

ثالثا :. النظر في وجه العدول الدلالي للفظ أو التركيب والوقوف عليه بالشرح والتحليل.

- النموذج الأول : من قصيدة ليلةٌ القبض على فاطمة . .:

هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضة . .

و لا تريدُ امرأة غاضبةً

و لا تريدُ امرأة خارجةً

على طقوُس العائلة2

لم ترد مادة (ط ق س ) في المعاجم العربية القديمة إنما رودت مستعملة في المعجم الوسيط بمعنى" النظام وَالتَّرْتِيب و (عِنْد النَّصَارَى) نظام الْخدمَة الدِّينِيَّة أَو شعائرها واحتفالاتها (د) وَحَالَة الجو أَو المناخ (محدثة) (ج) طقوس"3 لكن سرعان ما عدلت الشاعرة عن هذا المعنى الخاص بنظم الخدمة الدينية وحالة الجوّ من ضغط وحرارة وبرودة ورطوبة ورياح وغيرها وعممت دلالة اللفظ ليشمل نظم وعادات القبيلة لقد عممت الشاعرة سعاد الصباح لفظ طقس بإسقاط بعض الملامح التمييزية له , وهنا تتسع دلالة اللفظ لتشمل ما كانت تحجبه تلك الملامح المميزة.

- النموذج الثاني : السمفونيّـة الرّماديّة :

**كيف بوُسعي**

**أن أتجاهلَ هذا الوطنَ الواقعَ في أنياب الرٌعبْ ؟**

---

1علم الدلالة د/ أحمد مختار عمرصـ241

2من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة

3المعجم الوسيط (2/ 561)

**كيفَ بوُسعي**

**أن أتجاوز هذا الإفلاس الرُوحيّ**

**و هذا الإحباط القوميّ**

**و هذا القحط . . . و هذا الجَدْبْ ؟1**

معنا في هذا المقطع تركيبان الأول ( الإفلاس الروحي ):

والفَاءُ وَاللَّامُ وَالسِّينُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، كما يقول ابن فارس :" وَهِيَ الْفَلْسُ، مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ فُلُوسٌ. وَيَقُولُونَ: أَفْلَسَ الرَّجُلُ، قَالُوا: مَعْنَاهُ صَارَ ذَا فُلُوسٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَا دَرَاهِمَ."2 لقد تم الانتقال من هذا المعنى الحسي الخاص إلى معنى آخر مجرد وعام وهو خلاء الروح من مقوماتها

التركيب الثاني : ( الإحباط القومي) لعل الشاعرة تقصد بهذا المصطلح الشعور بالحزن واليأس والعجز الذي أصاب أبناء جيلها خاصة نتيجة للفشل في تحقيق أهدفٍ عربية طموحة كان يُرجى تحقيقها .فهل هذا هو المعنى الأصلي لمادة حبط ؟

الإجابة القاطعة لا فمادة حبط لها معنى حسى انتقل منه لمعنى مجرد ثم استقر لدى الشاعرة بهذا المعنى الثالث ولنبدأ رحلة اللفظ من أولها:

قال الزمخشري في الأساس :" حبط بطنه: انتفخ حبطاً بالتحريك. وفرس حبط القصيري: مجفر. وحبط جلده من السياط. ومن المجاز: حبط عمله حبوطاً وحبطاً بالسكون، وأحبط الله عمله. وتقول: إن عمل عملاً صالحاً أتبعه ما يحبطه، وإن أصعد كلماً طيباً أرسل خلفه ما يهبطه؛ استعير من حبط بطون الماشية إذا أكلت الخضر فاستوبلته وهلكت به. ومنه حبط دم القتيل: هدر وبطل."3

هكذا خصصت الشاعرة اللفظ واستعملته استعمالا جديدا فانتقل اللفظ من المحسوس إلى المجرد ثم إلى آخر أخص وهو (الإحباط القومي ).

- النموذج الثالث قصيدة :الشِّعْرُ وَالنَّثرُ.. لكَ وَحْدَكَ:

**وَسِجْنِي.. لِأَنَّنِي خِلَالَ مُدَّةِ غِيَابِكَ مُحَاصَرَةٌ**

---

1من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة السمفونيّة الرّماديّة

2مقاييس اللغة (4/ 451)

3أساسالبلاغة (1/ 165)

**بِالثَّالُوثِ المُقَدَّس؛ أَنْتَ، وَأَوْلَادُكَ، وَذِكْرَيَاتِي..1**

تركيب (الثالوث المقدس) أصل مفرداته عربية فصيحة من مادة (ث ل ث) ومادة ( ق د س) لكنه لم يرد مستعملا كتركيب في معاجمنا العربية القديمة ومن المعاجم العربية الحديثة التي نصت عليه المعجم الوسيط جاء فيه :"(الثالوث) مَا كَون من ثَلَاثَة وَمِنْه الثالوث الأقدس رمزا للأقانيم الثَّلَاثَة عِنْد النَّصَارَى "2

وانطلقت الشاعرة سعاد الصباح في معجمها الشعري منطلقا أرحب ووسعت من دلالة التركيب ليشير إلى أولادها وزوجها وذكرياتها وهي في ذلك متسقة مع اللغة العربية المعاصرة التي عبرت بهذا التركيب عن كل "ما رُكّب من ثلاثة "القصيدة نتاج تفاعل ثالوثٍ مكوَّنٍ من الشاعر والكون واللغة" الثَّالوث الحكوميّ: الجيش والقضاء والإدارة."3

- النموذج الرابع : من قصيدة سّيد الحبّ:

**أعرف رجلا، يستعمرني**

**ويُحرّرني**

**أعرف رجلاً أسطوريًا4**

في هذا المقطع من القصيدة لفظان عدلت بهما الشاعرة عن أصل وضعهما الدلالي:

اللفظ الأول: ورد في قولها :"أعرف رجلا، يستعمرني" أي يقهرني ويستعبدني يدلنا على أن هذا هو مرادها من ذلك اللفظ قوها في البيت التالي مباشرة "ويُحرّرني" وهذا الاستعمال المعاصر الذي شاع على ألسنتنا اليوم مغاير لأصل المعنى المعجمي والاستعمال العربي القديم بل هو نقل للفظ في ضد معناه قال صاحب لسان العرب "وأَعْمَره المكانَ واسْتَعْمَره فِيهِ: جَعَلَهُ يَعْمُره. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها ؛ أي أَذِن لَكُمْ فِي عِمارتها واستخراجِ قومِكم مِنْهَا وجعَلَكم عُمَّارَها. والمَعْمَرُ: المَنْزِلُ الوَاسِعُ مِنْ جِهَةِ المَاءِ والكلإِ الَّذِي يُقامُ

---

[1] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشِّعْرُ وَالنَّثْرُ.. لَكَ وَحْدَكَ

موقعhttp://souadalsabah.blogspot.com.eg/2012/04/blog-post_25.html

[2]المعجم الوسيط (1/ 99)

[3]معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 323)

[4]من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة سّيد الحبّ

فِيهِ؛ "1 فأين هذا المعنى مما تفعله الدول الكبرى التي تحتل دولا أخرى من التنكيل بشعوبها واستنزاف مقدراتها وثرواتها فلفظ استعمار " Colonization *يطلق اليوم ويراد به " تسلط أمة على أمة أخرى وتحكمها بفكرها وقيمها واقتصادها وقوتها العسكرية"2

وقد استعملت الشاعرة هذا اللفظ بهذا المدلول المستحدث في إطار أخص وهو علاقتها بزوجها سيد الحب كما تقول .

اللفظ الثاني : جاء في قولها وهي تمتدح زوجها "أعرف رجلاً أسطوريًا" أي بطلا خارقا والسياق الذي استعمل فيه اللفظ أغلبه جاء في سياق الذم فـ" الأساطِيرُ : الأباطِيلُ. والأساطِيرُ: أحاديثُ لَا نِظَامَ لَهَا، ...وسَطَّرَ عَلَيْنَا: أتانا بالأساطِيرِ. اللَّيْثُ: يُقَالُ سَطَّرَ فلانٌ عَلَيْنَا يُسَطِّرُ إذا جَاءَ بأَحاديث تُشْبِهُ البَاطِلَ. يُقَالُ: هُوَ يُسَطِّرُ مَا لَا أصل لَهُ أي يُؤَلِّفُ .... يُقَالُ: سَطَّرَ فلانٌ عَلَى فُلَانٍ إذا زَخْرَفَ لَهُ الأقاويلَ ونَمَّقَها، وَتِلْكَ الأقاويلُ الأساطِيرُ والسُّطُرُ. "3و الشاعرة سعاد الصباح لا تريد بالاسطورة هنا الاباطيل إنما هو "اسم منسوب إلى أُسْطورة.- غير واقعيّ أو غير حقيقيّ "حكايات أسطوريّة" بطولة أسطوريّة: خارقة للعادة- شخصيّة أسطوريّة: قامت بأشياء تبدو خارقة للعادة لا وجود لها إلاّ في الأساطير."4

وشاعرتنا حين تسأل محبوبها لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟ قد عدلت عن الأصل اللغوي ثلاث مرات فأولا الألغام ليست نبتات تزرع وثانيا كلمة اللغم بدلالتها المعروفة اليوم مولدة مستحدثة وثالثا يستحيل أن تزرع الألغام في الذاكرة حقيقة بل هي صورة مجازية تصور بها الشاعرة سعاد الصباح حالها مع ذكريات الزوج الحبيب .

والآن نلخص مظاهر العدول الدلالي عند الشاعرة سعاد الصباح التي مرت بنا في النماذج السابقة من خلال الشكل الآتي:

| المادة | اللفظ المستعمل | الدلالة الأصلية | الدلالة المستحدثة لدى الشاعرة | نوع التغير الدلالي |
|---|---|---|---|---|

[1] لسان العرب (4/ 604)

[2] معجم لغة الفقهاء (ص: 62)

[3] لسان العرب (4/ 363)

[4] معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 94)

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| (ث ق ف) | أثقف | إقامَةُ دَرْءِ شيء محسوس | تقويم الذوق والكلام بالعلم والاطلاع | تعميم دلالي |
| (ث ل ث) (ق د س) | الثالوث المقدس | رمزا للأقانيم الثَّلَاثَة عِنْد النَّصَارَى | تشير إلى أولادها وزوجها وذكرياتها | تعميم دلالي |
| (ح ب ط) | إحباط | ألم وإبطال وهلاك | عجز ويأس | نقل للدلة |
| (د هـ م) | الدهماء | الجماعة الكثيرة من الناس | جماعة محتقرة من الناس | تخصيص دلالي |
| (س ط ر) | أسطوريا | أباطيل وخرفات | رجل خارق للعادة | نقل دلالي |
| (ض ر س) | تضاريس | تحزيز ونَبْرٌ في شيء مادي | ارتفاع وهبوط شدة ورخاء الأيام | تعميم دلالي |
| (ط ق س) | طقوس العائلة | النظام وَالتَّرْتِيب و (عِنْد النَّصَارَى) | عادات وتقاليد القبيلة | تعميم دلالي |
| (ع م ر) | تستعمرني | إعمار وبناء | إذلال وقهر | نقل دلالي |
| ( ف ل س) | إفلاس | الافتقار التام | الخواء الروحي | تعميم دلالي |
| ( ل غ م) | الألغام | مَا حَوْلَ الفَم | علبة تحشى بمواد متفجرة ثمَّ توضع مَسْتُورة فِي | نقل دلالي |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | | الأرْض فَإذا وَطئها واطئ انفجر | |

وبوجه عام، فإن هذا الضرب من ضروب العدول، أى العدول الدلالى دلّ على اتساع ثقافة الشاعرة من وجه ، وعلى تمكنها من ناصية لغتها من وجه آخر ، وهو عنوان آخر من عناوين عبقريتها الشعرية التى تناولناها خلال هذه الدراسة .

## الخاتمة والنتائج والتوصيات

تناول الباحث فى هذه الدراسة شعر الشاعرة الكويتية المعروفة سعاد الصباح من منظور الدراسات الأسلوبية وتحديدا بهدف استكشاف مفهوم العدول ومدى اتقانها لهذه التقنية الفنية بابعادها المختلفة ومدى قدرتها على توظيفها فى شعرها . وقد اقتضى البحث ان نتعرف على مفهوم العدول سواءمن منظور اللغويين العرب القدامى والمحدثين وأضرابهم من اللغويين غير العرب، وقد انتهينا إلى تعريف العدول وتحليله إلى ضروبه المتنوعة وهى العدول التركيبى والعدول الصرفى والعدول الدلالى، وقد تناول الباحث كل مفهوم منها بالتحليل والاستبيان للوقوف على تعريف مرضى يتم من خلاله الغوص فى العالم الشعرى للشاعرة لمعرفة مدى استيعابها هذه المفاهيم وتطبيقها لها، وقد انتهى البحث فى ضوء الفرضيات الأساسية إلى جملة من النتائج على النحو الآتي :

1- العدول من أهم المفاهيم البلاغية التى لقيت عناية كبيرة من اللغويين البلاغيين، و لم يغب المفهوم عن فطنة اللغويين العرب القدامى إذ تناولوه فى دراساتهم، لكن أخذ لديهم مفاهيم متنوعة مثل: الانزياح، و**الانتهاك**، والخروج، والفضيحة، والكسر، والخرق، و الابتعاد، والتشويش، والمجاوزة، و الغرابة، والإخلال، والانحناء، وغيرها.

2- حظى العدول التركيبى والعدول الدلالى بعناية أكبر لدى العلماء المختصين فى حين لقى العدول الصرفى عناية أقل مع أهميته البلاغية وبخاصة فيما يتعلق باستيعاب أحد أوجه الإعجاز القرآنى، غير أن هناك غير واحد من العلماء، كالرمانى من القدامى قد أو لوا هذا من العدول اهتماما خاصا وابرزوا جوانب منه.

3- جاءت رؤية اللسانين الغربيين والعرب المحدثين حول العدول تعتد به اعتدادا كبيرا وتوليه اهتماما منقطع النظير كأداة لتحليل النصوص الأدبية وتمييز ما بها من أوجه الإبداع، ولذا كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأسلوبية والأسلوب وكانت " جسرا بين الأدب وعلم اللغة والنقد الأدبي والبلاغة

4- أثبتنا تعريفا للعدول التركيبى بأنه ذلك الضرب من العدول الذى يلحق بنية الجملة لأغراض يقتضيها المقام ويلحظها منتج الجملة حال صياغته له

5- ارتضينا تعريفا للعدول الصرفى بأنه خروج عن القاعدة اللغوية في مستواها الصرفي (بنية الكلمة ) لغرض دلالي . فالمتكلم يعدل عن أصل البنية بإجراء تصريفي ويحول

صيغة اللفظ لصيغة أخرى من أجل معان إضافية لا تستطيع الصيغة المعدول عنها الوفاء بها .

6- أنتهينا إلى تعريف العدول الدلالى بأنه تغيير لدلالات الألفاظ وعدول بها عن أصل وضعها الأول لعلاقة بين المعنى الأصلي (القديم ) والعدولي (الحديث) أو كما يقول جان كوهن هو انتقال "من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي.

7- كانت الشاعرة سعاد الصباح واعية كل الوعى بظاهرة العدول بأطيافها المختلفة وأستطاعت أن توظف تلك التقنيات بأشكالها وأجناسها المختلفة فى شعرها توظيفا حسنا موفقا.

8- للدراسات الأسلوبية أهمية كبيرة بما تكشف من خبايا النص ، وبما تجلى من أسرار تتعلق بقدرة الشعره ومعجمه اللغوى ، ويعتبر عطاء اللغويين قدامى ومدثين عطاء معجبا يستحق العناية والمراجعة.

**التوصيات:**

أما ما يوصى به الباحث فى ضوء هذه الدراسة فيمكن بلورته فيما يلى :

1- العناية بالدراسات الاسلوبية بوجه وبظاهرة العدول بوجه خاص وتوجيه جهود لاعادة استكشاف أدبنا العربى فى ضوء هذا المفهوم وغيره من المفاهيم البلاغية الحديثة.

2- الاستفادة من جهود اللغوين العرب القدامى ومن ثمرات التراث العربى الرائع مع عدم الانغلاق عليه وضرورة الاستفادة المستمرة مما تنتهى إليها الدراسات النقدية والبلاغية شرقا وغربا.

3- تمثل تجربة الشاعرة سعاد الصباح الشعرية تجربة فريدة وبرغم كثرة ما كتب عنها نسبيا إلا أن هناك جوانب فى تجربتها الشعرية يمكن أن تكون موضوعا شيقا لدراسات علمية شيقة.

4- يمكن تطبيق ما انتهى إليه هذا البحث من تعريف لمفهوم العدول وصوره وضروبه ليكون أداة لقراءة التجربة الشعرية لعدد من أدبائنا .من روائيين وشعراء وغيرهم.

5- ينبغى الاهتمام بالأدب النسوى الحديث بوجه خاص وتجلية جوانب الإبداع فيه حيث هناك الكثير مما لم يمس بعد فى هذا الصدد.

**قائمة المراجع والمصادر**


- القرآن الكريم
- أحمد محمد ويس: **الانزياح في التراث النقدي والبلاغي**. اتحاد الكتاب العرب. دمشق.(د ت).
- أبو بكر الباقلاني : **إعجاز القرآن ، تحقيق ، أبو بكر عبد الرزاق،** مكتبة مصر ، مصر ، 1994م.
- أبو الفتح عثمان بن جني **: الخصائص** ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ،ط2، 1957م.
- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري(ت 638هـ):**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق الدكتور بدوي طبانة والدكتور محمد الحوفي، مطابع الفرزدق التجارية، دار الرفاعي للنشر، الرياض 1983م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت 458هـ): **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، القاهرة ، 1958م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، اعتنى به محمد عوض مرعب وأخرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري (ت 711هـ): **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،1985هـ. الأنحراف الأسلوبي ( العدول ) في شعر أبي مسلم البهلاني ( 1860م ـــ 1920م) : د. أحمد علي محمد ، مجلة جامعة دمشق مج 19، العدد (3-4)،2003م.

- الخطيب، القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالقزويني(739هـ) , تح : لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر , أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى- بغداد.

- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988م.

- سلطان، منير، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل** : ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، 1988م.

- حسنطبل: **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**. دار الفكر العربي. القاهرة. 1418هـ/1998م.

- مصلوح، سعد: **الأسلوب دراسة لغوية إحصائية** ، علم الكتب ، ط3 ، القاهرة ، 1992م.

- فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، 1992م.

- المسدي، عبدالسلام: **الأسلوبية والأسلوب** ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2، 1982م.

- المسدي، عبدالسلام: **قضايا العلم اللغوي** ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1994م.

- القوريزي، عوض حمد : **المصطلح النحوي نشأته وتطوره** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2، 1983م

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175هـ): **كتاب العين،** تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وآخر، مطابع كويتا تايمز، دار الرشيد للنشر، بغداد 1982م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين: **القاموس المحيط** ،مكتبة النوري ، دمشق ، (د ـ ت).
- السعدني، مصطفى: **العدول أسلوب تراثي في نقد الشّعر**. منشأة المعارف. الإسكندرية.1990م.
- رابعة، موسى سامح: **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها** ، دار الكندي ، الاردن ، 2003م .
- حسان، تمام: **البيان في روائع القرآن** ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993م.
- عبد المطلب، محمد: **جدلية الأفراد والتركيب** : ، الشركة المصرية العالمية للنشر والطباعة ، 1994م.
- خطابي، محمد : **لسانيات النص :** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1991م.
- الصباح، سعاد: **ديوان خذني إلى حدود الشمس** ، دار الصباح للنشر والتوزيع ، 1997م.
- الصباح، سعاد: **ديوان في البدأ كانت أنثى** : سعاد الصباح ، منشورات رياض الريس ، لندن ، 1988م، والقاهرة 1992م.
- الصباخ، سعاد: **ديوان قصائد حب** ، إصدار دار سعاد الصباح 1992م

- الجرجـاني ، عبـد القـاهر، **دلائـل الإعجـاز**، تحقيـق : محمـد رضـوان الدايـة ، فائز الداية ، مكتبة سعد الدين ـ دمشق ، ط2 ، 1407 هـ ـ 1987

- الفـارابي، أبـو نصـر إسـماعيل بـن حمـاد الجـوهري ( ت 393ه) **الصـحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة** : ،تحقيـق أحمـد عبـدالغفور عطـار ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط4،1987م.

- فضـل، صـلاح ، **علـم الأسـلوب – مبادئـه وإجراءاتـه** ، مؤسسـة مختـار للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

- أبـو موسـى، محمـد محمـد، **مراجعـات فـي أصـول الـدرس البلاغـي** ، مكتبة وهبة-القاهرة،ط2، 1429ه-2008م.

- هنـداوي، أحمـد يوسـف، **الإعجـاز الصـرفي فـي القـرآن الكـريم**، المكتبـة العصرية، بيروت 2002م،

- بـن ذكريـا، أبـي الحسـين أحمـد بـن فـارس، **مقـاييس اللغـة** تحقيـق ـ عبـد السلام هارون ـ دار الجيل بيروت ج 2 ص 259

- الزبيـدي، السـيد محمـد مرتضـى، **تـاج العـروس** للإمـام اللغـوي ط ـ دار صادر بيروت

- الجاحظ ، **البيان والتبيين** ج1 دار الجيل بيروت ت: عبد السلام هارون

- التهانوي، محمد بن علي الحنفي، **كشاف اصطلاحات الفنون** وضع الحواشي أحمد حسن ج2 ط1998 منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ

- عادل فخورى ، **علم الدلالة عند العرب** ـ دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة ط الثانية 1994 دار الطليعة ـ بيروت ـ

- تمام ، حسان: **المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة**، حسان تمام، مجلة فصول، القاهرة، عدد3-4، 1987م ص28.

- ابن الاثير : **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** تمحيي الدين عبد الحميد (2/ 12)